إلى

شاعرنا الجميل

مطبوعات القصة ....

تصدرها ندوة الإثنين

مجموعة قصصية

الذي يكتب الحروف ليصوغ كلمات رشيقة وجمل تصويرية متميزة، محلقا بنا، لنعيش اللحظة الشعرية وموسيقاها مع

تدحرج الصور

تجاربه الإبداعية مع الاشتعال ووقدة الدهشة

تدحرج صور الشربيني أحمد

الشربيني المهندس

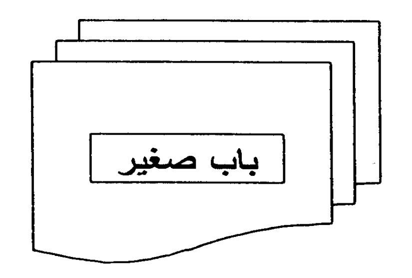
إشراف / أ. عبد الله هاشم

تنفيذ الغلاف : يونان عبده

إهـــــــداء

.. إلى كل من يمسك بالقلــم ويعتلي منبر
الكتابة متجنبا النظرات الخادعة ..
.. إذا جعلت من نفســك دودة تمشي على
الأرض فلا تلومــن من يدوسك بقدمــه ..
الكتابة ليست تسجيل لواقــع مفروض ..
أو صدمة ، ولا امتثال لأفكار لا تناسبنا ..
ولا هي تنــازل عــن إنسانيتنا وعقولنا ..
.. الكاتب وقلمه معارك صامته معظم الوقت
مــع النفس والآخــرين من باب صغير ..
إلي كل من ردد ويردد هذه الكلمات




باب صغير



باب صغـــير

..وكأنه حديث اليـــوم عبر الأثير، ومفاتيح (الريموت كنترول) تئن تحت ضغط الأصـــابع المتبلدة وتنهــدات الرجل المسموعة ..
صاح الصغير : عايز أتفرج علي الكرتون يا جـــدو..
ــ يا للكرتون المزعج ..انتظر هــذه صور جميلة ..
..إنه التاريخ يا بني ..
ــ ياه الكلام ده في المدرسة يا جدو
كانت الصورة لحلب الشهباء وحكاية التـــتار التاريخية وكأنهم جراد جائع ينتشر حول المدينة.. هل تعرفها يا عفريت ..؟
ــ دريم بارك أحسن منها وفيها مراجيح تطلع لفوق وتتشقلب ..
ــ ولكنني أخشي هــذه الشقلبة يا ولد ..
ووضع إصبعه علي فمه ليسكت الغـــلام بينما تنقل الفضائيات بالصوت والصورة كيف وقــف القاضي (إبن مفلح) ــ عاشق المفاوضات والتتار كما يراه التاريخ ــ وراء الأسوار يحاول حـــل اللغـــز التاريخي ..
كانت المدينة معزولة خلف الأسوار تنتظر عساكر السلطان وقد عسكرت أمامها القـــوة الهمجية العظمي .. كانوا يستعرضون الخيل والفرسان في خيلاء وسط ملابسهم الزاهية ، وأشعة الشمـــس الحمـــراء تنعكس علي السيوف والرماح وراء السنة اللهب المشتعلة ، بينما القـــرون المدببـــة مشرعة فوق الرءوس ..
متخبطا في هموم اللحظة يبـــدو .. أخذ القاضي يردد بصـــوت هامـــس حيثيات القـــرار الذي يراوده وقـــد تصدعت رأســـه بحكايات الصراع بين الأسد والنحلة أو النملة .. والوفاق بين الزيدية والحنابلة والأروام والعجـــم والسلاجقة والكنعانيين والأتراك والإسماعيلية ..
..هز رأسه يحاول التذكر وقـــد زاحمتها صدمات حكايات التتار الهمجية وصـــور سقوط بغداد وحرق مكتبتها بعـــد الأخضر واليابس ومهانة الرجال ودماء الأطفال تتدحرج أمامه ..
..تزداد تنهداته في قلب واقع كئيب وكيف لم يأخذ الحاكم بالعظة مما حدث .. وهـــو ما زال يتحسر علي أرواح الأطفال الأبرياء وأعـــراض النساء

وتخاذل الرجال والجيران قــد تفرقوا من حولهم ، ومصير مشئوم في انتظارهم ، بينما العالم يلهو
سار في شوارع المدينة الغافلة وقــد انسابت الموسيقي والكئوس تصدح في الحوانيت بتمويل من اليعقوبيين ورقصات الأتراك والأحباش علي نغمات الجــواري وقصص الحب في الأفواه وقصائد الغــزل الملتهبة ، والكل يتناسي ما وراء الأسوار ..
تحركت الكاميرا ببطء لتلصق أكبر مشاهد للهــو بالذاكــرة ، وصــرخ الرجل في نائب السلطان :
ــ لماذا لم ترسل في طلب النجدة من السلطان ..؟
ــ أرسلت لهم الرسول العاشر ..!
وهمس له ليحترس من العسس والدساسين ..
وتغير الإيقاع مع هبوب ريح كريهة الرائحة ، وبدا كل شيء وكأنه قابل للسقوط بعد أيام الحصار الطويلة ..
واختمرت الفكرة في ذهــن القاضي ..(جبان يعيش خير من شجاع تحت التراب والأيام دول) ..
وتوالت ردود الأفعــال بين اليــأس والأمل والكرامة والحيلة .. وانفض الناس من حول الشيوخ بعد اتساع شقة الخلافات وتكرار الأحاديث ..
حضر السلطان علي غير المتوقع .. وكان حديث السن في نظــر القاضي ..تحوطه هالة من القصص والمغامرات ..
وبدأت المناوشات وسط مخاوف القاضي من الهزيمة النكراء ..
وأرسل السلطان الشطار خلف صفوف الأعداء ..
وشن التتار هجوم المنجنيق .. لكنــه استطاع إيقاف هجوم التتار والحق بهم الخسائر..
وقتل الشطار ابن تيمور لنك السكران ..
وتجرأ عبده الغلبان وطلب يد بنت القاضي ..
واشتعلت نيران الغــيرة والخوف في قلب القاضي الحيران ..
كان القاضي يظن أنه سيدخل التاريخ من باب السلام ..
تمتم وهو يتلفت حوله وكأنه لا يصدق الأحــداث :
هل ستنجح المفاوضات مع الهزيمة المتوقعة ..؟

.. ودارت كئوس النصـــر وغنت الجـــواري علي دقات الدفوف وقـــرع الطبول وليـــالي الأنس حتى صحت المدينة ذات صباح علي هدوء قاتل بعد ليلة الاحتفال الطويلة بالنصر ..
كان السلطان قد رحل مع جنـــوده عندما وصلته الأنباء بتمـــرد واسع المدي للأمراء في الأمصار الأخرى ومحاولة خلعه من السلطنة ..
صاح القاضي : ودمشق وحلب ..
أجاب النائب :لها اللـــه يا أبو سارة ..!!
هتف الغلام : وأين طائرات الشبح ..؟ خلصونا يا ناس ..
اقترب أكثر من الجد ..
ـــ لو شفت الكرتون معانا يمكن سوبرمان يطير وينقذهم ..
ـــ كيف سيدخل سوبرمان التليفزيون يا ذكي ..؟
ـــ ها..ها ..سوبرمان جوه التليفزيون من زمان ..
ـــ انتظر ربما يكون للمخرج رأي آخر ..
ـــ يا ماما ..ماما وذهب الغلام غاضبا ..
وبدأت أيام الانكسار مع اعتصام نائب السلطان بقصره المنيع في انتظار عودة السلطان والمـــدد ..
وحاول القاضي جمع السنة والشيعة من حوله وفرض منطقه ملوحا بالحكمة في يد ، **وغصن الزيتون في** الأخـــرى ، **وشعاع** أمل يقترب ..
وافق التتار علي التفـــاوض ..وطلب تيمور لنك أن يتركوا له السلطان وجنوده ليأخذ بثأره منهم وهو يبكي ولده الحبيب ..
وتضاربت الآراء مع ظلال الخوف بين مؤيد ومعارض ..
وأعتصر القاضي فرص السلام مع بريق السيوف المرفوعة والإحساس بعدم الحيلة يزداد ..وسادت البلاغة والجدل العقيم وسط مخاوف سوق عكاظ المفتوح، وكيف أرهقهم السلطان ونائبه بالصكوك والضرائب وتغلب منطـــق استحقاق نائب السلطان للعقـــوبة ، حتى يسود السلام المنطقة ..
وهمس القاضي:كل ذي عاهة جبار..أتركوه لهذا التتري الأعرج ..
وطلب القاضي من نائب السلطان الرحيل ، لكنه رفض وتحصن بالقصر والرجال من الأتراك والحمدانيين وسط المدينة .
واختار التتار أن يكون القاضي فصيح اللســـان المتحرر الأفكار هو الحاكـــم الشرعي لحلب ..

وعندها وافق القاضي وبسمته الخاصة تتسع وقلبه يرقص طربا لمناوراته الذكية .. ولكنه استدرك وجعل موافقته بشرط عـــدم اشتراكه معهم في القتال وعدم تعرض الناس للاعتداء ..
وليكن السلطان مقابل السلام ..
في بداية المفاوضات طلب تيمور لنك فتح باب صغير في سور المدينة علامة المحبة ودخول أفراد قلائل من جنوده مع الهدايا للقاضي وأصحابه ..مع التوصية باعتقال من كانوا يتعاونون من العشائر المختلفة مع نائب السلطان في معتقل خاص ..
ووافق القاضي قائلا .. لا ضير من باب صغير ..!
وتكاثر جنـــود التتار بالمدينة مع الأيام ..ونصبوا الخيـــام وتكدسوا في الحوانيت المطلة علي النواصي .. وزادت حركتهم ذهابا وإيابا وأصبح من الصعب إغلاق البـــاب الصغير ..
وعندما طـــال الحصار التتري للقصر قـــرروا جمع سلاح العسكر والقوات الخاصة وبخاصة النبال والرماح في مخازن تحت حراسة مشتركة لضمان حياد هـــذه القـــوات ، وعـــدم مساعدتها لنائب السلطان المحاصر .. وأنتهي أمر السلطنة في المدينة باقتلاع خيال المآته السلطاني ومقتل النائب وجنوده وهرب الأكراد إلي الجبال .
وطلب التتار الجزية حتى يرحلوا عن المدينة ..
وجمع القاضي الأعيان عمـــلا بمبـــدأ الشورى وقرروا جمع الأموال لدفع الجزية للتتار وضمان رحيلهم عن البلاد ..
ووافق القاضي في سبيل السلام وتحرير البلاد ..
..كانت الأموال التي جمعوها أقل مما يطلبه التتار في كل مرة .. وطالت المحادثات حول التعويضات المناسبة .. وعادوا يجمعون الأموال من الناس رغم تذمرهم ..
كانت الهمسات عن الوعود المزعومة للسلام تملأ الدنيا ..
وازدادت حيرة القاضي بحثا عن شعارات جديدة يطرحها علي الناس ..وأنقذه وزير المكر والحيلة بنظراته المخادعة ..
كانت تلك وعود المرحلة السابقة يا صاحب الفضيلة ..

..والرأي لرجال الشورى وهم رجالنا وليس للعامة ومنحنيات السياسة هي اتخاذ مواقف مختلفة وتبريرها للناس حتى يصابوا بالإحباط ، وتتلاشي آمال الإصلاح..ويتم جمع الأموال بلا جدال .. ومع الفرقة نأمن مطامعهم في السلطة أيضا ..
وانتصرت حجج القـــوة علي بلاغة المنطق ..
ــ لسه يا جــدو ..
ــ خلاص يا سيدي ..لقد قرر التتار نهب مخازن السلاح وجمع كل دابة وفرس حتى لا يطاردهم أحـــد بعد الرحيل .. وتعيين حاكم تتري وحراسة تترية علي حدائق المشمش حتى يتمكن القاضي من جمع الأموال ولو بالقوة ودون مقاومة من أحد ..
وقبل أن يتنفس أهالي المدينة الصعداء كان التتار قد نهبوا الحوانيت .وطاردوا الشباب حتى هرب الدروز والمسلحون منهم إلي الجبال .. وأغلقت البيوت علي من فيها .. وتكاثر الناس حول القاضي يسألون عن فصاحته والأفكار الجديدة ..ولم يجد إلا الهروب إلي منزله ..
ودارت الكاميرا تسجل **الطرقات الخفيفة** علي الباب ثم صدمة القاضي عندما وجد المنزل مقلوبا رأسا علي عقب ، والجارية مذبوحة ..وسارة أبنته الوحيدة الممزقة الثياب تحدق فيه بعيون جامدة .. كعيون المدينة التي ضاعت هباء ..
وأغمض الجد عينيه ليجد نهاية أخري
وتسارع الإيقاع وتوقفت مفاتيح جهاز التحكم في القنوات عن الحركة والقاضي يتلفت حوله ليري من خلال دموعه الأشباح وتيمورلنك يهتف وراية الحساب يزداد بريقها في يمينه ..
أيها القاضي : هل تعرف من أنا..؟
فغر القاضي فاهه وأضاف تيمورلنك ..
ــ أنا غضب اللــــه في أرضه الممزقة ..!

طرقـات خفيـفة

أحست بما يشبه الطرقات علي باب منزلها الجـديد ببوسطن الهـادئة .. توقفت مكانها .. كانت قـد افتقـدت الزيارات الأسـرية ولقـاء الأصدقاء منذ غادرت بلادها بعد الزواج .. الناس هنـا في عجلة من أمرهـم .. وزوجها يعمل لساعات متأخرة .. نظـرت من العين الزجاجية ..لم تر أحـدا ..عادت أدراجها للمطبخ..كانت في حاجة إلي كوب شاي ساخن !
سمعت مواء القط ..نظرت حولها ثم راحت تفتش في الغـرف ..إنها تكره أصوات القطـط .. حمدت اللـه ، يبـدو أنها إحـدى القطط بالخارج ..أسرعت تجلس كالمعتاد أمـام شاشة التلفـاز، وخيالها يزداد دفئا مع الأبخرة المتصاعدة من الشـاي ، من صخب الصغـار إلي دفء العـائلة ودموع أمها التي لم تصدقها وهي تهتف بفرح ..
إنني ذاهبة للعالم الجديد يا أمي ..
قطع أفكارها صـوت طـرقات خفيفـة علي البـاب الخارجي ..أسرعت تنظر من العين الزجاجية ..صاحت بفرحـة طاغية
.. لابد أنها إحدى الجارات تريد الثرثرة معي..
أزاحت المزلاج ثم توقفت برهـة .. تمتمت لكن الأحـوال هنا متغـيرة والمعاملات مختلفة .. زادت سرعة أنفاسها وطـاف بذهنها تحـذيرات البوليس المتكررة .. زادت قبضتها تشبثا بمقبض الباب وقد واربته قليلا ..أطلت برأسها ببطء..
..قالت تبدد السكون المرتعش داخلها
ـ مساء الخير يا سيدتي .. مرحبا
قالت المـرأة ..مساء الخير ..لا وقت عنـدي .. لكن كيـف تجرئين علي ترك قطتك المسكينة في هذا الجو البارد ..؟
ـ إنها ليست قطتي ..
وأغلقت الباب وعادت للجلوس أمام الشاشة وقلبها يرتجف من صور ضحايا الغارات الجوية.. والصـور تتدافع أمامها تذكرها بصديقاتها ورنين الهـاتف الذي لا ينقطـع .. تطـوف بشفتيها ابتسامة واسعة ونسمات النزهة علي شط النيـل في العصا ري الجميلة مع خطيبها حسين تداعبها

مختلطة مـــع رائحـــة الذرة المشوي والسلام يسود صفحة النيل .. وكم كان المساء ينقضي سريعا مع الحكايات وحلاوة ثرثرة الجيران ..
..كانت الطرقات علي الباب هذه المرة أكثر وضوحا ..أسرعت بالنظر من العـــين الزجاجية ..كان هناك رجل شرطة .. فتحت الباب ..
إبتسم الشرطي ..
ـــ سيدتي هـــذه شكوى من الجيران بسبب طردك لهـــذه القطة الجميلة ..التقطت أنفاسها وهي تبتسم ..
ـــ لقد أخبرتهم يا سيدي إنها ليست قطتي ..وأنا لا أحب القطط .. وفي بلادنا لا نربي القطط ..إنها دائما هكذا في الشوارع ..
ـــ هنا أمريكا يا سيدتي النظام والقـــانون وحقوق الحيوان ..من فضلك وقعي علي هذه الورقة ..
ـــ وما الأمر ..؟
ـــ لا شئ لكنه اعتراف بأنها ليست قطتك .. وليس من حقك تقديم أي شكوى بفقـــدك لقـــط ..
ـــ نعم .. نعم .. ووضعت توقيعها علي الورقة وقـــد شعرت بالارتيـــاح قليلا .. أسرعت للتلفاز وطاف بخاطرها أن تتصل بحسين ..نظرت للساعة .. ربما يكون في طريقه للمنزل ..
دقائق وسمعت صوت سيارة بالخـــارج .. شعرت بالاطمئنان يسري في عروقها ..لابد أنه حسين ..نهضت .. توقفت مكانها ..لماذا الطـــرقات علي الباب ..هل ضـــاع مفتاحه ..؟
ازدادت الطرقات وضوحا علي الباب..مع دقات قلبها المسموعة أسرعت بالنظر من العين الزجاجية ..
..كان هناك شرطيان ..فتحت الباب ..
كان مع أحدهم قفـــص جميل داخله تلك القطة اللعينة تجلس علي قطعة كبيرة من الصوف ،وزجاجة من اللبن بجانبها ،وهي تلعق بلسانها فروتها البيضاء وقد ارتفع صوتها بالمـــواء ..بينما مـــد الشرطي الأخـــر يده بإيصال استلام وورقة تعليمات وبسمته الخاصة تتسع .. وفي اليـــد الأخرى كانت هناك فاتورة حساب ..!!

بسمة خاصة

منكمشـــة حـــول نفسها كانت هربا من صرخات الصغير ، ووسط النيران المشـــتعلة اعتلـــت رصـــيف الزمن بملابسها الســـوداء الفضفاضة تراقب شـــجرة الزيتون اليتيمة، فقد مل الأهل الصراخ وتوقفت رسائل الشجب بعد امتلاء صندوق البريد الإلكتروني ..

ملـــت هـــي أيضـــا رسائل التاريخ والجغرافيا منذ الوعد المشئوم وانهيار الأبراج وتطوير مناهج التعليم والتسليم بالأمر الواقع..

عـــندما هربت من الأسد العجوز الرابض فوق الحدائق المعلقة كان الطريق بيـــن الفالوجا والسويس والفلوجة شاقا وطويلا وقد تناثرت حوله الدماء .. تعرف أنها الضريبة .

التقطـــت أنفاسها بصعوبة تندب تخلف قومها وهي تلعق دموع الهزيمة التي بدت واضحة من فوق الرصيف..

تتســـاءل عـــن الســـبب ..كانت تدرك أن النكسة يتيمة الأب تارة والأشقاء أخري وقد استباحوا أرض الآباء والأجداد شرقا وغربا ..

داخلهـــا الشـــعور بالقلق وقد افتقدت الزوج والأهل والواقع يزداد كآبة مع تزايد الأجانب فوق أرضها التي كانت خضراء .

رفعت يدها لتتقي حرارة شمس الشقاء الحارقة ..

ماذا سيفعل الصغير الآن ..؟

وكيف لم يصدق هذا الصغير حكاياتها ..؟

أســـرعت بالـــتقاط روحهـــا التي تشعر أنها تتسرب من بين جنبيها أحست بانهـــيار الأرض مـــن تحـــتها مع اقتلاع آخر شجرة زيتون ..استندت إلي أحزانها بعد أن أعياها البحث عن قطرات تروي جفاف سنين العمر ودوي السكون ..

وا معتصماه ..

وا اسلاماه ..

وا يعرباه .. إنهم يغيرون لون القبة والقبلة ..

صم الجميع الآذان من هول صدمة الفيتو ..

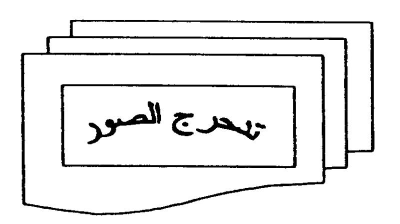
عندما ازداد تدفق الضياع داخلها ودت لو تغيب في أحضان التاريخ وتعود بشكل جديد ..

عندما أدار التاريخ ظهره عادت حيث يأكلها الصمت والوحدة ..
أفاقت وقد التف سور الكراهية العنصري حول الناس الطيبين ليحجب القبة الخضراء عن ضوء الشمس..
تساقطت دمعتها تحمل قطرات ذكرياتها مع الصدمة ..
لقد توقفت الأجراس عن الرنين ..
وعاد الآذان إلي مالطة ..
وخفتت الأضواء علي شط النيل ..
وساد الظلام في شارع البصرة المتفرع من شارع الحمراء ..
وأغلقت النوافذ في المنزل الحموي ..
وتحت النخلة سقط العنكبوت والحمامتان ..
..أدارت رأسها من تحت الطرحة البيضاء ونظراتها الكليلة تستكشف المكان من جديد ..
مسحت دموعا غزيرة بحثا عن القبلة ..ترفع طرف ثوبها الأبيض وهي تبحث عن مكان لغرس فرع الزيتون ..
..انتصبت واقفة ..
كانت الملائكة تردد التراتيل وتنشد المزامير وتتلو الصلوات، ومع ابتسامة ألخنساء ، وسكينة ذات النطاقين ، وعلي أجنحة الأدعية للمظلومين كان السهم يشير إلي طريق جانبي باسم زوجها الشهيد ..
اتسعت ابتسامتها وهي ترفع رأسها للسماء ..
كان ابنها الأكبر يبتسم من داخل عربة ملائكية بيضاء.

****

نخلة الذكريات

جلس وحيدا فوق تلال الألم وقد قرصه الجو ع ..
وضع يده علي عينه المصابة ..
فتح الثانية ببطء وقد راح يستكشف المكان من حوله ..
التقط أنفاسه ..
دارت رأسه بحثا عن النخلة وبيت العائلة ..
هاله المنظر وكأنما اصطدمت مراكبه بصخور الواقع المرير ، وفغر فاه والتمثال الكبير قد سقط في المياه الراكدة حول الحفر التي تنتشر بالمكان ..
صدمت أنفه رائحة خنزيريه ، وهمسات تقرأ الفاتحة بطريقة لا يفهمها ..
وزاغت عيناه مع أشباح هاروت وماروت ..
اضطربت أفكاره هلعا من الغرق في مياه الخليج ودقات طبول مشاعره تعلو وهو يحاول تذكر ما حدث بالأمس القريب ..
أم المعارك تغلق الحوانيت .. الصمود والتحدي علي أنغـــام الدفوف ..عاصفة الصحراء والسراب الكبير ..لا ..ولا ..ولا ..
تتبع قطرات البترول ولم يجد النخلة في مدي الرؤية ..
طأطأ الرأس .. زفرة حـــارة فوق أنقاض منزله ثم سار بحـــذاء النهر يراقب السفـــن الهـــاربة بالأشاوس والميثاق وأحلام بعث الهلال الخصيب ..كانت أشرعتها سوداء ..
هتف :أين النخلة يا أولاد أل ..؟
.. صوت الأمواج يردد مع المد وابتسامة أبيه تتسع :
لا تيأس من رحمة اللـــــه يا ولدي ..!
تمتم يدعوا لوالده بالرحمة ..
.. رفـــع النتوء البارز من كتفه يحيي طيف أمه المحمول فوق أشعة القنابل الذكية وقد ملأت بسمتها الخاصة عينيه ..
داعبته ابتسامة أمـــل وهو يلمح البلحـــات المتساقطة من نخلة ذكرياته وقد تدحرجت الصور ..


تخريج الصور

تدحرج الصــور

..كان ميدان المحطة مكتظا بالمسافرين .. والصخب يحيط بالمكان مختلطا بأصــوات البــاعة العجرمية والروبية وموسيقي (الكاسيتات) .. سار فــوق الرصيف الثــالث وعينــاه علي اليافطــة الكبــيرة
(إسكندرية /طنــطا /القــاهرة) ..
تلفت حوله وقد راوده القلــق ..
نظر في ساعته الذهبية ..تمتم ..
مازال هناك فسحة من الوقت .
جلس بالكافتريا ينتظر وصــول القطار ، حرك جسده فوق المقعد وقد غاصت أردافه بين ثنايا الإسفنج ذي الضغط العالي ..أخرج لفة كبيرة من حقيبته .. يبتسم :
.. الله يجازيكي (يا سعاد)..!
.. لازم تأكل الساندويتشات كلها يا(أبو علي)..
.. السكة طويلة يا خويا ..
.. كان الرجل مكتنز اللحم. فتح اللفة الورقيــة ،وأخــرج (ساندوتشات الكفتة والكباب) وهو يتأمل صورة المطربة نانسي .. أخذت الرائحة تنتشر.. نظر حوله يتصفح الوجوه ..
لم يستطع قراءة ايا منها .. دارت رأسه وهو يتابع حركات الأقدام .. توقف عن المراقبة وتناول الجريدة بيده اليمني يقلب الورقات بسرعة ، لم يجد صــــورة لنانسي أو روبي فشعر بصدمة ..
وضعها علي الطاولة أمامه ، فتح انفه علي اتساعها وأشار بيده اليسري يطلب الجرسون ..
وضع الحقيبة بجــواره .. صفق مجددا .. حضر الجرسون ..
طلب الشاي .. بدون حليب ..
حذروه من المواد الحافظة التي تضاف للألبــان هذه الأيام ـــ ومازالت في ذاكرته حكايات جنون البقر ـــ وحرب الجراثيم و..

تصفح الجريدة أمامه بسرعة ..قلب الصفحة ..
توقفـــت عينـــاه علي صـــورة الرجل الذي يحمل طفله ،والذي قتلته رصاصات الغـــدر .. تقلصت قسمات وجهه وهو يدوس علي شيء ما .. بالمانشيت العريض ..
(أطفال الانتفاضة الفلسطينية يرفضون المعونات الأجنبية ..)
تأفف : كم سئمنا من هذه الإعلانات ..
..إلي متي ..؟
..أين الحور العـــين ..؟
يقلب الصفحة بسرعة وهو يتمتم :
.. العيال دي لازم تشوف مصلحتها ..حجـــارة إيه ..وكلام فارغ آية ..؟
تلفت حوله ..أنا مش فاهم المدارس سايباهم أزاي ..
تمتم ..هم مش بياكلوا ويشربوا .. أمال معاهدة سلام أزاي ..
شعر بمن يلتصـــق بقـــدمه ..
هب واقفـــا وقد ساورته الوساوس ..
كانت القطة تتمسح به .. نهرها وقد سبقته قدمه ..
فـــرّت هاربة من أمامه.

****

جلس منتفـــخ الأوداج علي مقعده .. وضع ساقا فوق الأخرى .. فـــرغ من الساندوتش الأول بقضمات كبيرة ..
مواء القـــط يعود من جديد ..
تناول الساندويتش التالي .. جال بناظريه في المكان ..
توقف أمام صورة هيكل عظمي صغير مكتوب تحتها ..
تبرعـــــــوا لأطفـــال المـــجاعة (بالصـــومال والعراق)..
قلب شفته السفلي ..
أفريقيا وآسيا مرة واحدة ..ثم راح يقبـــل يده كفـــا وظهـــرا ..
عاد ينظر في الساعة ويمسح بناظرية حركة المـــارة أمامه .. لمح صبيا يجلـــس قبالته ..تفرس فيه قليلا ثم أشاح بوجهه ..
عاد يتصفح الجريدة ..

القوات (الإسرائيلية) تهدم المساكن وتشرد الأطفال والنساء ..
تمتم لا أفهم شيئا ..حتى لو العيال بيضربوا بالطوب ..
معقول (ال..) دي تضربهم بالرصاص .
همس ..ولما يشردوهم مين اللي ح يزرع الأرض و ..
هزات رأسه تؤكد أنه لا يستوعب ما يحدث ..تمتم ..
يبدو أننا في عصر جنون البشر ..مين الغلطان فيهم ..؟
تواردت صور فقدان الضمير والوجدان فهز رأسه وتغيرت انعكاساتها مع التكرار الملل .. زفرات حارة وهو يهمس لنفسه .. خلينا في حالنا ، وسيبنا من السياسة ..

****

وابتسم وهو يراجع صفحة الأدب ويقرأ بصوت عال ..
(مسح بيده علي ظهر الكلب
طرقع بأصابعه في الهواء يداعب القط
وأعلن حربا شعواء علي صيد الأفيال والثعالب
وأرسل بالأسلحة إلي أطفال العالم الثالث ..)
هز رأسه وطوي الجريدة ..
مالهم أدباء اليومين دول ..؟
ألقي (بالشاي الساخن) في جوفه دفعة واحدة .. وضع يده فوق فمه المفتوح .. أخذ نفسا عميقا وهو(يطبطب علي بطنه المنتفخة) ..

****

.. غير بعيـد جلس الصبي صامتا..شاخص البصر ونظـراته تصافح بالأمـل وجـوه المسافرين ، ورواد الكافتيريا ..
كان هيكلي العظام..الساقـان نحيفتـان.. جلبـابه يغـطي الركبتين بالكاد يسمع مواء القط ولا يراه ..
نظر في ساعته ..
أزف موعد وصول القطار ..
طوي الجريدة .. راوده شعور بالشبع ..
(ولف الساندوتش الأخير وهو يتلفت يمنة ويسرة) ..

نظر حوله مرة أخري ..
لا أحد يأكل أثناء السير علي الرصيف ..
يتساءل : هل يأكله في القطار ..؟
وقف حائر النظرات بين الساندوتش والحقيبة والساعة ..
تذكر أن عليـــه أن يملا الحقيبـــة بالأوراق المطلوبة لمهمته ولا مكان للساندوتش ..
آه ماذا سيقول (لسعاد)..؟
متفكر ش كتير وخللي بالك من صحتك ..!
.. التفت ناحية الصبي ، والذي كان يرمقه بلا كلل ، ونظراته الجاحظة متعلقة بالساندوتش ..
أبتسم وهو يهمس آدي واحد راح يدعي لك (يا سعاد) ..
وأعطي الصبي الساندوتش وهو يسرع الخطي ناحية القطار ومواء القط يرتفع .
نظر خلفه ..
..كان الصبي يتقاسم الساندوتش مع القط..

*****

صدمـــــة

.. ترددت نظرات صابر طويلا بين صفحة السماء والطريق الذي يتلوى أمامه ودعوة تأخر في تلبيتها وصوت أنفاسه يعلو..
اخترقت النظرات الملهوفة السحب الكثيفة حاملة دعوات من القلب ، وعندما خفض رأسه ارتدت نظراته من الأرض وهي حسيرة وقد تمردت الأقدام علي الحركة رغــم الأمتار القليلة بينهم.
..كان الصيف قائظا .
..تاقت نفسه إلي نسمة هــواء فربما .
.. عندما هبت النسمة انتفض وقد لمسه تيار هــواء بارد فخلع قميصه ، ورقص طربا ، فاهــتز ســور الشرفة الخشبي القــديم ..
وترنح الجسد المتعب ..
.. كانت السيارات تمضي مسرعة فوق الطريق الأسفلتى الموازي لكورنيش البحر ، بينما تكدس الناس فــوق الرصيف بجوار **الشجرة** وتحت المظلة أملا في ركوب الحافلات العامة .
.. تمردت عقارب الساعات علي النظرات التي تلاحقها .. تدافعت الهمهمات التي أقحمت نفسها بلا استئذان بين البعــض تتساءل عن أسباب تأخر صابر عن الموعد ، بينما علت التنهدات فــوق الرءوس بحثا عن نصيبهم في نسمة هــواء .
.. عاد الرجل الواقف بعيدا عن الرصيف يداعب صديقه الذي ازداد عبوس وجهه ..
_ هل سمعت آخر نكته ..؟!
_ عن صابر الغلبان والحرية ..أعرفها قطعا ..!!
وانطلقت ضحكته الماجنة عالية لتصطدم بالجسد المترنح ..

*****

اختفاء الجدائل

علي ضوء القمر المسترسل بلا مقاومة كان يدون أشعاره ..غطت دواوينه الحالمة المكان واشتبكت مع جدائلها المتطايرة في الهواء وتحرك الفرخ الصغير في قلبه رغم أنف الحساد ..
تحرك السكون فاختفت الجدائل ..واخترقت عيناه النافذة ..
بزغت قاماتهم وملامحهم الممسوخة خلف الأردية البيضاء والزرقاء ..
تتشعب خطوات قصار القامة في سباق محموم ليعود الصمت ثم يعكرونه بعثراتهم ــ مع تعليمات صاحب النجوم ــ مرة أخري ..

****

ضجيج وطرق باب لا يهدأ ..
مستبشرا بالبدر الذي اكتمل فتح الباب ..
ربما جاء الأحبة وذكرياتهم الجميلة .. قد يستمع لقصائد عصماء تنساب في جنبات ليله الطويل ..كم يعشق الحديث عن المدينة الفاضلة .. ربما ..
واندفعت الأردية الزرقاء وفي ظلها البيضاء للداخل ..
ــ أين هو ..؟
ــ عما تبحثون ..؟
وسادت الجلبة بالمكان وأصابعهم تزداد طولا علي الحائط .

****

علي ضوء المصباح الكهربي راح يعيد ترتيب الأشياء ، وينظر تحتها وخلفها ، بينما يده تتحسس الأشياء ..
تري عما كان يبحث هؤلاء ..؟
حمد اللــــه علي أنه أخفي الكتاب قبل وصولهم ولم يجادلهم ..
عاد الطرق من جديد ..أجفل والصق أذنيه بالباب ..
ــ لم نجد المجنون وقد فتشنا جميع البيوت يا سيدي ..
ــ وما العمل فلن نستطيع إزعاج العائلات من جديد في هذا الوقت الذي تذاع فيه مباراة الكرة ..؟
ــ وهل سنعود من غيره يا رجال ..؟
ــ هذا المنزل سبق أن فتشناه يا سيدي ولم نجد سوي صاحبه ..
ــ حسنا ولم لا ..هذه فرصتنا الأخيرة ..

غـــــــــــارة

أختفي أزيز المقاتلات هربا من تراشق الحجارة والمنجنيق البشري الذي لا يتوقف ..
سكن التراب المتطاير ..
هتفت الفضائيات تهلل للقضاء علي الإرهاب وعودة الحجارة إلي الأرض
..ساد السكون مع قطرات الندي المتساقطة وتفتحت العيون ..
لن يضيع حق وراءه مطالب ..كانت الصيحة ..
راحوا يجمعون الزاد والحجارة للأمل المنشود ..
مسحوا الدموع وحملوا الأعلام فوق الرؤوس ..
تجاوزوا الحفر البرميلية وداناتها والمتاريس ..
كانوا يفتشون عن الأطفال قبل الكبار ..
لقد كان وكان فعادوا يبحثون عنه في الصدور ..
لم يصدقوا رجع الصدى مع ضحكته المجلجلة ..
أصوات تردد خلف **الشجرة** ..
..كان معنا يحلم بالغد الجميل ..
وتزداد الهمهمات ..
..كان مقيدا بكتابنا وقد راح يرسم حمامة بيضاء ..
تذكروه وقد اتسعت ابتسامته مع هديل الحمام ..
لاح للناظرين وكأنما قد استند برأسه إلي سرابه الأبيض ..
.. بدا لهم كمن يحلم بتحرير التراب ووجهه للسماء ، وهـــو يغني لحماماته
والدوائر البيضاء تتسع وتتسع ..
نادوا عليه طويلا ..
ردد هديل الحمام النـــداء ..
عندما أخرجوا جثة الغلام ..
قالوا أرقاما مخيفة عن عدد الطلقات ..!

صـــــلاة

كان صوت المؤذن يجلجل في الفضاء الرحب ..
الصلاة خير من النـــــوم ..
هب من نومه متمتما ..
..صدقت وبررت إن شاء اللـــــــه ..
حي علي الصلاة ..حي علي الفلاح ..
حان وقت الجهاد واستعنا باللــه..
أزاح التعب من علي أكتافه التي أنهكها المجهود الشاق لكمين ناجح وسط دوريات العــدو بالأمس ..
شعر بانشراح الصدر فقــام من فوره فاغتسل وتوضأ ، ثم صلي ركعتي السنة .
بسمل وحوقل وسبح بحمد ربه .. ثم يمم وجهه شطر المسجد والنور يشع من جبينه ..
خرق السكون صوت دبابات العــدو التي يعرفها جيدا ويحفظ حكاياته والرفاق معها ، فأســـرع يستحث الخطي إلي المسجد وهو يردد الأدعية المأثورة بهزيمة العدو ، وغرقه في الجحيم ..
كان يتلفت حوله من لحظة لأخرى ..
الحذر الحذر يا ولدي ..
إنهم أهل الغدر فلا تنسي ..
زادت خطواته وما زال القلق يراوده بعدم اللحاق بالصلاة ..
همسات الضوء الخافت ترسم ظلالا كثيرة ..
..تابعها فانزلقت قدمه في حفرة سبقته إليها دانات العــدو ..
استعاذ باللـــــه من الشيطان الرجيم ..
بسمل ..حوقل واستند إلي ذراعيه وهب واقفا بينما وضح لأذنيه صـــوت مجـــنزره يقترب ..
أسرع بمحاولة نفــض غبار الأتربة عن وجهه وملابسه ،وإذا بالصـــوت الهامس يردد :
..أرضنا طيبة ..
..التراب طاهر ..

... منتها واليها يا ولدي ...

..التراب مقدس كالصلاة ...

همس لنفسه يتلو الرحمات لوالده الذي اغتالوه وقد تجاوز الثمانين ...

سبقته أنوار تتسابق نحو القبة الزرقاء ...

توكلنا على اللـــه ثم رفع قدمـــه إلى كومة التراب يحاول الخروج من الحفرة ...

كانت المجنزرة أسرع منه وصوتها يصم الآذان ..

.. يردد السكون المهيب صـــوت صرخة اختلطت بصـــوت المؤذن ...

قد قامت الصلاة ...

* * * * * * * * * * * *

غــريق

.. هاي ..
أشار بيده لتمثال الحرية والابتسامة تزداد اتساعا..
نرحب بالمعذبين في الأرض هناك ..
لقد تغير الأمر .. سنبني تمثالا صغيرا هناك ..
رفع اليانكي عاليا ..
أدار التمثال ظهره وضحكات جورج تنطلق عالية ..
تحركت القافلة شرقا تحمل الأصدقاء ، تاركة النهر خلفها وهي في طريقها للنهر الجديد ..
شعر بموجة حزن خلفه .. توقف الصفير فسأل توني المبتسم دائما عن السبب والذي عجز عن الإجابة ، بينما تلعثم جاك ..
أصاخ السمع ..
كانت أسماك النهر تبكي لما أصابها نتيجة استخدام الديناميت في الصيد ، بينما كانت الحيتان ترقص طربا ..
هز رأسه يجب أن تصبح كل أسماك العالم لنا لنمنحها حرية الاختيار ..

****

هناك عند مدخل الحدائق المعلقة وبين الرافدين توقفت الأغاني ، وهدأت الموسيقي الصاخبة ، وكتم الجميع الأنفاس .. وتركزت الأنظار باتجاه الرقعة الصغيرة ، حيث اشتد الصراع وأرتكز المرفقـــان علي الطاولة ، والتصق الكفان ، وتنافرت العروق ، وسقط العرق بغزارة ..
دار ديفيد يجمع الرهان ..
كانت الرهانات لصالح جورج النجم الجديد ..
سقطت ذراع جاك علي الطاولة وكسب جورج الرهان ..
.. وبعد الصدمة تعهد جاك باصطياد الحمـــام لعشاء الجماعة وتأجيل صيد العصافير تسليما برغبة المجتمع ..
صفق الجميع وجورج يقذف القبعة في الهواء وهو يصيح :
سأصطاد سمكة كبيرة من النهر إيذانا ببدء مهرجان الصيد الكبير

سأريكم عجائب التكنولوجيات الجديدة ..!!

****

علي ضفاف النهر تقافزت الأسماك ..
القي السنارة ذات الشاشات الرقمية في غارة مفاجئة وقد داخله شعور بأن السمك أكثر اختلافا عما يعرفه ..
أخرج السنارة بعد أن شعر بالحركة ..
كان بها بعض من الأعشاب الخضراء ..
زفراته الحارة انطلقت في الهواء ليعلن أن المقاومة لا تجدي
أعاد البرمجة وأخرجها مرات ..
..كان السمك الصغير يضحك مع غيظه الذي يزداد حدة
قال توني : يجب تغيير الطعم ..
همس جورج : إنه الطعم الذي أوصي به ديفيد ..
القي السنارة مرة أخري وابتسامة ديفيد تتسع ..
أحس بحركة شد قوية .. أرخي يده قليلا فزاد إحساسه بالشد
جذب السنارة بكل قوته رغم المقاومة الشديدة ، وتوني يصفق لجورج وهو يطير في الهواء معجبا بالتكنيك العصري للصيد وجاك يخفي ابتسامته ..

---------------------------------- غـــــريق

الليل ستار

أطل من وراء فتحة صغيرة ..كان الليل قد أرخي ستارته ..
من خلف شيش النافذة لم يلمح شيئا ..
عاد أدراجه إلي وسط الغرفة .. قذف الورقة فوق الطاولة
.. تراقصت ظلال المصباح فوقها ، ثم طغي السكون ..
أطفأ المصباح ..
أشعل سيجارته من لهيب الشمعة ..
.. راح يدندن مع حلقات الدخان المتصاعدة ..كانت نظراته تخترق السقف مع ظلال ضوء الشمعة المتأرجحة ..
خطر له أن يرسم مع حلقات الضوء المتأرجح أشكالا ..
حدق في الورقة طويلا ، كان قد رسم صورة المرأة الضاحكة رشيقة القوام ذات الشعر الكستنائي والخدود الوردية ..
.. لم تعجبه الألوان .. أضاف اللون الأحمر للشفاه ..
رفع الورقة أمام عينيه .. كانت صورة امرأة سمراء البشرة مكتحلة العينين ، مكتنزة الشفتين ، تتطاير جدائلها الطويلة في الهواء ..
علي ضوء الشمعة لمح ابتسامة الشقراء فخلع سترته .. تتهد وجدائل السمراء تداعب خده ، ثم تحتضن كل ملامحه ..
.. شعر بحرارة الجو الخانقة فقام بقص جدائل السمراء .
عندما أمسك بالقلم شم رائحة ما .. قام يبحث في أركان الغرفة ..
أرهف أذنيه
.. سمع صوت صرخات وتأوهات ..أجال نظراته المرتعشة بالمكان ..
عندما ساد السكون أسرع إلي الطاولة ..
.. مع اختفاء الجدائل لم يجد الورقة ..!!
.. كانت البقع الحمراء لا تزال لزجة ..

••••••••••

حلقات مرمرية

أوشك الليل علي الانتصاف .
أفرغ الكأس الأول في جوفه بسرعة وقد اتشح بالظلام ..
نظر في ساعته مع بصيص ضوء يقترب .. أشعل السيجارة ثم تناول الكأس الثانية وأطلق سحابات الدخان ..
دارت رأسه تفحص المكان والكأس الثالثة كادت أن تفرغ ..
رآها تقترب ..
خمرية البشرة .. نحيلة الخصر.. مر مرية الساقين ..
هتف :ها ..ها ..واليمني مرمرية أيضا ..
وأخذ يقــذف بالنقــود في الهــواء ..
اقتربت أكثر ..
يبرز نهداها كالتفاح أمام عينيه ..وتلمع شفتاها بلون الكرز الأحمر ..
.. أسرع بالتهــام ما تبقي أمامه وقد علا صوت التنهدات مع حركة الشفــاه المتبادلة عبر الهواء الضاحك ..
مازالت تقترب تسبقها حلقات الدخان ..
اصطدمت الأولي بأنفه فأسرع بالتقاط سيجارته ..نفث دخانها بشدة صائحا ....ها ..نحن هنا .. وقــذف غطــاء الرأس في الهواء ..
وسقطت قبضته علي الطاولة فشعر بآلام الجمجمة ..
أرتطم خده بالحلقة الثانية ..أخذ يهز رأسه وهو يفكر في طريقة أخري للرد وقد تحجرت مقلتاه ..
كست حلقة الدخان الثالثة وجهه ..فغر فاهه فسقطت السيجارة من فمه وبرزت أسنانه الصفراء ..
كانت الحلقة الرابعة أسرع فتسرب الدخان إلي جوفه ..
طبول السعال ترتفع مع أنفاسه المتسرعة ثم ارتدت الحلقة وقد فاحت رائحة الخمر بالمكان ..
.. شعر أنه كغريق مع الغارات المستمرة والخامسة تتجه نحوه فأغمض عينيه واستكانت العروق النافرة ..
عندما فتحهما كانت الشمس في طريقها للمغيب ..

الرجل والكلب

داعب أطراف شاربه علي مهل ، رفع قبضته في الهواء ثم أدار وجهه الباسم نحو الرجل ..
..كانت السنة الذهبية تزداد لمعانا .
.. رفع الدولار بإصبعين أمام عينيه وسرت في الجو رائحة خاصة ، ثم أشار بإصبعه المتأرجح إشارة ذات مغزى .!
.. طأطأ الرجل كث الشارب حليق الرأس رأسه .. كتم أنفاسه وقد أرهف أذنيه لسماع التعليمات الجديدة ..
عيناه لا تفارقان الخاتم الذهبي وبينهما الدولار منتصبا.!
.. سارت قدماه في طريقه الذي رسمته شوارب الرجل الباسم باسطا كفه ورافعا طرف ثوبه .
.. كان قـد أعطي لأفكاره أجـازة طويلة مع **خيال المآته** ، قبل أن يدفن لقب العائلة اللامع وأحلامه أيضا ..!
عاد إلي منزله بعد أن راقب الشمس وهي تنزف معلنة الرحيل وقد أصابه الإعياء .. كان كشهاب ضال في طريقه إلي قرار مكين .. تحركت مشاعره فأصم أذنيه واستحث الخطي ..
شيء ما يأسره ويدفعه كورقه في مهب الريح إلي داخل دائرة تتسع أمام باب منزله .. لمح الكلب يتبول ثم يعلو نباحه .
تمهل ..
.. انحرف قليلا ..
..ودلف من الباب .
.. كانت امرأته بالداخل منكوشة الشعر تخفي وجهها بين ركبتيها وقد أغرق نحيبها المكان .
.. دس يده في جيبه ..
وبالأخرى أغلق الباب ..
.. وقد ساد السكون .

نظــرات خادعة

..جاوزت نظراته المتصربعة لوحة الأرقام العربية المعدنية علي مدخل برج الأمل الجديد .. تخطي البوابة والساحه الواسعة وقد استهوته الدعوة من خلال البريد الإلكتروني ردا علي اشعاره وقصصه الرومانسية ..
استحضر العلم والإيمان وهتف :لقد اعترفوا بنا أخيرا .
توقف لحظة ، ثم تجاهل المرايات الفضية وقفز بقدميه يسرق الخطي .. ويصعد السلم بخطوات وثابة إلي الدور الرابع .
.. خفــق قلبه مع اقتراب الحلم واحتضن كتابه وهــو يقــرأ عبــارة الترحيب أمــام مدخل باب الشقة :
. (welcome)
اتسعت ابتسامته ترحيبا بالعولمة ..
وطرق الباب بنقرات سريعة ، ثم ترك لصفير شفتيه العنان مع قصيدة غنائية .. توقف وموسيقي حالمة تتسلل من وراء البـــاب .
شهــق مع إطلالة الوجه المشرب بالحمرة .. hallow تراجع للخلف والحلمتان تغمزان له من فوق التفاحتين وهــو يكــرر كلمات الاعتذار وقــد علقت عيناه بالتنورة القصيرة .
استدار في طريقه وقد تاهت خطواته ، وتلعثمت أصابع الأقدام والضحكات تجلجل وهو يداري أذنيه .

******

.. طرق باب الشقة الأخرى برفق ، راجع عنوان الرواية الرومانسي ، وراح يحرك أصابع يديه في الهواء ممنيا النفس بليالي ألف ليلة .
برقت عيناه واتسعت فرحته ورائحة الشواء تتسرب إلي أنفه .. takeawayعبارة دفع ثمنها من قبل ، وتسمرت عيناه علي الرجل الواقف خلفها وقد راح يحرك أصابعه الكبيرة يمنة ويسرة ..

.. وانطلقت كلمات الاعتـذار من فمه وهـو يتقهقر قبل أن تلتهمه شفتاها المكتنزتان ..
هبط دركات السلم وأسنان السمراء اللامعة تداعب خياله..

*****

أحس بتيار هواء بارد يتسرب من البوابة فصمم علي الخروج.
..يزداد الرجل طولا ولمعان الأسنان البيضاء بريقا فيغمض عينيه ، وترتفع الضحكات الرنانه فيسد أذنيه وقد ازدادت احمرارا مع الموسيقي الصاخبة ، وتصطك قدماه فيشعر أن دركات السلم لا تنتهي .

ياله من مساء بارد ..

توقفت أنفاسه مع الشعور برائحة برفان تغزو أنفه ورأسه تدور.
سألته ذات العيون الزرقاء وبرفانها يسبقها عمن يبحث فتلعثم .
عندما وقف بعيدا عن الرصيف يتأمل اللوحة المعدنية ، راعته النقوش الكثيرة التي تزين الحائط
اخترقت فمه المرتعب بسمة تتسرب من البوابة الكبيرة .. كانت نظرات المرأة صاحبة البرفان تكسوه من أسفل لأعلي بينما كانت الأرقام الإفرنجية تخرج لسانها

مساء بارد

ذات مساء بارد وشهر ديسمبر يلملم أوراقه ، كانت السماء ترعد والأمطار تتساقط بينما اختفي القمر ..وتوالت الطرقات علي باب المنزل الخشبي الجميل بحي مصر الجديدة .
فتحت المـــرأة الناعسة البـــاب نصـــف فتحة وشعـــرها يتطاير فـــوق الروب الحريري ، الذي التف حولها فبرزت مفاتنها أكثر ..
كانت نظراتها النارية تسبقها فكست الأبخرة المكان .
رمقته من أعلي لأسفل قائلة :
ـــ أين كنت يا أستاذ حتى هذه الساعة .؟
التقط أنفاسه وهو يزيح قطرات الماء من علي وجهه ..تشابكت أفكاره وقدماه تترددان في الدخول ، والجملة التي أعدها في طريقه كانت تستعصي علي الخروج .
وقف في وسط الصالة .. تمطع ..خلع سترته رغم الضوء الخافت ..
تظاهر بالتثاؤب وهو يدير بصره في المكان كالغريب :
هل يجلس إلي أقرب مقعد أم يذهب إلي سريره مباشرة ..؟
همهم ببضع كلمات استهلالا للجملة الخالدة التي أراد بها أن ينهي هذا الموقف المتوتر .
الجملة مازالت محشورة داخل فمه رغم دوران رأسه التائه وراء شيء ما وشعاع يقترب حتى أخترق بصره غرفة النوم ..
توقفت النظرات وانطلق اللسان محتدا فقد لمح شبحا هناك ..
ـــ من هذا يا ست هانم ..؟
صاحت وهي تعتصر جسدها داخل الروب الحريري :
ـــ من فضلك لا تغير الموضوع ..

*****

همسات ضوء شاحب

.. عيناه تكادان تلامسان عقارب الساعة وقـــد تعانقتا تحت ظل الضوء الشاحب ..
اتشح بالصبر وقد طوقته مرارة قاسية تنطلق من الأعماق ..
أطبق الليل علي جسد المدينة التي أحبها يوما وقـــد تثاءبت تاركة همسات الضوء الشاحب تداعب المكان ..
..كانت الزفرات الحارة تحيط بمكانه والشمس تنسحب إلي الأفق البعيد ، وقـــد اختفت حافلة النقل العـــام من هـــذه المنطقة .. وملل الانتظار يأخذ بخناقه ..
تنهد وقـــد أظلمت الدنيا في عينيه وقلبه بعد أن ضاع الموعد المرتقب وفرصة العمر الجديدة
.. زفرة حارة يندب بها الحظ الهارب وهو يمزق الإعلان ..
.. ماذا بقي له ليفعله مع كل هذا اليأس ..؟
أزاح موجـــات الأمل المتباعدة مع همسات الضـــوء الشاحب واندفع مبتعدا عـــن فحيح عربة النقـــل سحب أذنيه والتقط أنفاسه وأجال بصره بالمكان ..همهم ..
..لا أعتقد أن هناك حافلة نقل ركاب جديدة ستمر من هنا!!..
..ماذا يفعل الآن ..؟ كان لا يعرف إلي أين يتجه بأقدامه ..؟
ضوء السيارات المارقة يبدد جانبا من حلكة الظلام .. من غير اختيار وجد نفسه قد انحاز عن الطريق وتعلـــق بجسر المشاة .. كان كبقعة ضوء تتحرك في بهو شاسع أسود الجدران ..
..وضع الساعة في جيبه وقف يراقب السيارات التي تسير بسرعة جنونية .. باغته الهـــواء الساخط (للشكمانات) وراح يحيط بأفكاره
انكمش داخل سترته ..
راوده شعور وكأنها تضيق به ..خلع السترة ..ألقاها فوق كتفه وعاود السير فوق الجسر ..

مرت من تحته سيارة فارهة تسابق شاحنة كبيرة .. اهتز جسده مع خوف كامن لازمه طويلا .. خيل إليه أن الفتي الوسيم فارس الجميل يخرج له لسانه كالعـــادة من خلف مقود السيارة الصفراء ..
تنهد..آه هذا اللعـــين مرة أخـــري وقذف الجريدة في الهواء ..
هرش رأسه وقد أطاحت هواجسه بيقظة الحواس ليتلقفه الحزن قاذفا به علي السنة منشارية كانت تقتنص نصيبها بلا خجل .
إدار رأسه بعيدا عن أضواء السيارات المبهرة وهو يتسكع في طريقه باحثا عن نقطة ضوء ..
عاد الضوء الشاحب يصدم بصره قادما من الظلام الحالك هناك ..سار وراءه عله يجد مخرجا من كهف العذاب.وقد لحق حلم العمل بخيالات العروس والشقة والعربية ..
كانت ضحكته المجلجلة في فراغ الليل تعلن أنه سيجد فارس ابن الجميل وراء الشجرة وارفة الظلال معها بلا شك .. هناك ..أدار الرأس هنا وهناك والوساوس تتأرجح فوق الضوء المبهر وخلف الضوء الشاحب ..ابتسم وراح يراقبهم هنا وهناك بتحد وهـــو يسأل النجوم من خلـــف ابتسامته المغتصبة ، ولا ينتظر جوابا مع شعا عات هاربة تبحث عن وجهه المتردد يمنة ويسرة ..أنهكه الهمس الصاخب فأغمض عينيه وقد تمردت الجفون والرموش ..وحيدا ترك قدميه تسيران فوق الجسر .. أخرج لسانه وراء الضوء الشاحب وقـــد إنشرخ الأمل الزجاجي مع ضياع الصلوات ..
راح يحرك ذراعيه الممدودتين ليحقق التوازن، وقد إسترخت خطواته ..
أغلق فمه وهو يدندن ..
لن يستغفلني الضوء الشاحب بعد الأن ..
خواطره تهرب مع تيار هواء بارد وتنهيدته الحارة تعلن أن السير المبطئ في الظلام يريح الجسد ..
كان يشعر بموجات السكون وهي في طريقها لغزو الجسر حينما دوي في المكان صوت زاعق لفرملة الشاحنة ..
وساد الهواء المكان الذي أهتز بينما تربع السكون فوق جسر المشاة .

••••

.. صفق الرجل يطلب المشروبات للأصدقاء .. أسرع الجرسون يلبي الطلبات .. مصمص الصديق شفتيه واحتلت التكشيرة موقعها بلا سابق إنذار، وقفزت أفكار من مكمنها دون عناء استئذان .
أبتسم الرجل الطيب .. قال :
أضحك وفرفش يا رجل ..
لقد ذكرتني بخوالي الأيام .. التكشيرة نفسها.. ويومها مزقت شيك المرتب كالمعتاد، قاذفا به إلي غيابات الأحلام .. والتي داعبتني أياما وليالي طويلة ..
وعاد الصفير الحاد من داخلي يتساءل وسط نظرات الاستنكار لرفيقة الدرب ومظاهرات الاحتجاج لفلذات الأكباد ..
.. هل مازالت القناعة كنز لا يفني ومتي يظهر هذا الكنز علي المائدة ..؟
والأمانة .. الشرف .. أسلحة البسطاء ..
ومتي ستحقق النصر..؟
.. والفلوس .. هل جربت مفعولها الساحر ..؟
..وهززت رأسي .. تسربت التساؤلات ..
.. ماذا وكيف ومن .. ؟
ومتي ..؟
.. أخرجت الإجابات لسانها ..
.. راجعت خانات الشيك الذي أحفظها عن ظهر قلب ..
نعم مازالت خانة المكافآت عذراء..!
.. .. ونحيت أحلامي الصغيرة جانبا ، ووزعت الفلوس بين جيوب البنطلون والقميص كالمعتاد ..
سحبت يأسي بسرعة ، وخرجت زاحفا بأفكاري من أقرب باب صادفني .. وخلتني سرت طويلا ..
..الشمس ما زالت في كبد السماء تتحدي العيون التي تختلس الظهور في طريقها ..
ارتدت عيوني تصافح الأرض طويلا ..

الأرض ما برحت تبادلني النظرات ..
.. وعادت تلمع أمام ناظري خواطر شتي ، تخرج لي لسانها الصـــريح ، وهـــي منهمكة فـــي تقليب الصفحات الكثيرة بسرعة ، وبسهولة تعيـــدها مرات .... وشهقت والبلاهة تتقدمني ..
آه مازالت صفحتي حية ..!
.. تجرأت واجتزت بضعة سطـــور متتالية ظهرت أمامي واضحة ، والأخـــرى تم شطبهـــا ، وواصلت السير مع قـــدري ، ورفعت يدي كمظلة من حرارة الشمس .. ..
.. خطوات نحو المنزل ..
ورد (عم عبده) السلام بدون حرارة ..
فغر الرجل فاه متسائلا :
ــ هل كنت تتعامل مع عم (عبده) علي النوتة أيضا ..؟
ــ نعم وكان ذلك أول المنحنيات ، لم أكن في حاجة إلى الهروب من نظراته فالمطاردة مستمرة بين ضروريات الحياة اليومية والحفاظ علي الزبائن .. وكلانا من فاقدي الأمل في التغيير ..
.. واتخذت طريقي للبيت سربا ..!

****

الشمس تميل للغروب ، الليل ستّار العيون يقترب علي استحياء .. راح الرجل يبادله الهمسات والتي قطعها صياح الزوجة ..
ــ شوف أبنك يا راجل ..!
.. .. واستدار الرجل خارجا من المنزل بعد أن رفض "أمين" التنازل عن مجموعة شرائط الفيـــديو للكيمياء والإنجليزي ، أخذ يحكي لصديقه الذي راح يستوضحه ويقول :
.. فين أيامنا قالها من وسط التـــنهيده الطويلة .. وكانت الدروس الخصوصية في الخفاء ..!
بينما يهز الرجل الطيب الرأس ..
ــ ومع استبداد الأبناء وقلوب الآباء الطيبة تدرك المعـــني ..

.. لا يأس مع الحياة ..
.. وطأطـأ الرجل الرأس للثانوية العامة الجديدة .. وقبل المبلغ الذي قدمه الصديق لحل هذه الأزمة الطارئة ..وفي انتظار الشيك القادم .

****

عاد الرجل يعتذر لصديقه عن سوء الأحوال وهو يقول :
ماذا فعلت ..؟
.. زم شفتيه وهو يقول ..
وفى محاولة جديدة للتقرب من العزيز "أمين "عرضت استبدال المجموعة الدراسية التي يريدها بنماذج يمكن نسخها ..
هز رأسه ..
أو تبادل استعارتها مع الزملاء كانت الفكرة الأخرى ..
قطب جبينه وهو يضيف ..
أسمع كثيرا من زملائي عن المشاركة في أفلام الفيديو ..
عض شفته السفلي .. ومرة أخري فشلت في تسجيل البرامـج التعليمية من قنـوات التليفـزيون المتعددة أو التي تم تشفيرها .. وخابت توصيات الزملاء . لن تصدق .. "عصام " يبكي فرصة اللحاق بزملائه ..
المدرس رفع تسعيرة المستوي الخاص ..
.. فغر الصديق فاه وهو يضع يده في جيبه ، والرجل مازال يحكي ..
وأستمر الحوار "المالطي"..
ـ أليس هو مدرسك بالفصل ..؟
ـ نعم يا أبي ..!
ـ ونفس مستوي الشرح ..؟
ـ لا طبعا .. . "هو فيه شرح من الأصل ". !
ـ.. . .. ..
ـ .. . يا أبي .. يا عم "أبو أمين" الدنيا تغيرت كثيرا ..!
ـ لا يا أبني .. لا .. فالضمير ..
ـ مقاطعا .. ودا كمان غيروا يا سيدي أسمه من زمان ..!
ـ والإخلاص في العمل ..

ـــ هناك إجتهادات كثيرة في تفسيره بالتأكيد ..!
ـــ .. وهل منها الأدراج المفتوحة ..؟!
سأله الصديق جزعا ..
ـــ هل سألته عن الأدراج المفتوحة ..؟
.. هز الرجل الطيب رأسه
ـــ هل يعرف الصغار ما يدور في العمل ..؟
نعم ويقولون:
ـــ هذا تفسير جديد للضرر والضرار ..
وهكذا افتقدت "أمين " في صراعه مع الدروس الخصوصية ..
و"عصام " غاص في حواري الفلسفة والحذلقة..!
****
كانت نصائح الصديق تطن في أذني وقد كف عن مد يد المعونة وأستبدلها بالنصائح المجانية .. همست لنفسي بحكمة من يده في النار ..
الصبر طيب ..!
وتدفقت تأويلات الأولاد تطرد نصائح الأجداد وخانات الشيك لا تتغير ..
هكذا كان الرجل الطيب يصغي للجميع وقد سارت الأحوال علي هواها مع زغرات الزوجة وتكشيرتها الدائمة..
زفر زفرة حارة .. كم هي ثقيلة حقيبة الأوهام مع كل خطوة وشعورك بأنها الأخيرة ..؟
وكم هي مرة عصارة الأفكار السوداء ..؟
عــدت مبكرا إلي منزلي هذا المساء ..نوبات السعال تلاحقني ..العيــون زائغة والأنفاس مضطربة ، السكون يطبق بسرعة علي المكان ..
أصوات خافتة تقترب وتبتعد ..
وتحاملت علي القدمين ..
..وتفقدت حجرة النوم ..
.. أغمضت العينين ثم فتحتهما ..
..نعم إنه منزلي ..!
.. هل خاصمني الجميع ..
.. وألقيت بجسدي المتهالك علي المقعد..!

.. .. .. ومزقت ورقة جديدة من النتيجة .

****

همس الصديق مازحا وهو يدس النقود التي راجع عددها في جيبه وعيني تلاحقه ..أحكي لي بالتفصيل ..
رفعت رأسي بعيدا عن جيبه ..
يومها وضعت ساقا فوق الأخرى ..تناولت ساندويتشا واحدا .. وقلبت الصفحات مرات عديدة ..
حاولت مع العمل الإضافي ..أمسكت بنظراتي للحظة فإعلانات العمل تخرج لسانها ببرود ولا تنتظر الرد .. الشروط غير مفهومة من النظرة الأولي.. أو مرسومة كما يقولون ..
ـ لقد شرحت لك هذه الأمور يا رجل يا طيب
عندما عاودت تقليب الصفحات .. قرأت باهتمام ..القضاء علي ظاهرة الدروس الخصوصية ..
.. وطويت الصفحة سريعا فقـــد ارتفعت نسبة القبول لكلية الطب عن العام الماضي .
يستحثه الصديق لا تحدثني عن أسعار العلاج ..
.. .. وترتفع تكشيره الأم شبرا آخر..!
.. ودلفت إلي حجرة النوم ..حاولت استعادة الذكريات ، يبدو أنني سألازمها طويلا ..
.. كان السرير تحت الشباك والمرآة هناك أيضا ..
.. دارت العينان تفحصان المكان واستقرت مع الدوائر التي تراقصت وسط السقف و.. أصطدم الإصبع بالحائط فراح يبحث عن السرير..
.. وتلويت في الفراش ثم تمطعت طويلا ، تثاءبت بصوت مسموع محاولا مع النوم .. ..
..انزاحت الملاءة قليـــلا ، ثم شعرت بتيار هواء بارد يداعب أصابع القدمين وتركته يسري داخل الأطراف محتلا الجسد ..

****

.. .. الطريق إلي العمل غدا طويلا.. مصابيح الطريق تنافس ضوء الشمس .. أصوات حية وأخري مسجلة تقترب ..
.. السيارات تعرف طريقها .. الأصوات العالية لا ترحم تفكيره الصامت .
.. أعلن برنامج (العلم هذا المساء) أن الطريق المستقيم مجموعة من المنحنيات .. .. هرشت أذني اليمني متسائلا :
.. .. وهل تعرف الأذن اليسرى أن لكل دائرة مركز..؟
.. .. وجلست إلي المكتب واضعا ساقا فوق الأخـــرى ، ومن تحت الشارب الكث غير المشذب .. تخـــرج كميات هائلة مـــن الدخان بعدما ابتلعته من السيجارة النحيفة والتي لا تكاد تظهر من بين الأصابع المتشنجة
.. .. ..الصبر مفتاح الفرج مازالت في موقعها ..
.. تصفحت الوجوه بسرعة ..
.. .. وعصرت اللـــيمونه .!
.. .. تحية الصباح للبيـــه المدير ..!
.. مازالت عيناه تتصفحان الأوراق ..
دخان السيجار لا ينقطع ..
.. ..وتقدمت أكثر رافعا **غصن الزيتون** و ..
وهمست في أذنه طويلا .!
.. .. زوى ما بين حاجبيه ..
.. .. .. هز رأسه ..
داعب لسانه بالكلمات .
.. انفرجت أساريره واتسعت ابتسامته ..
.. ..
.. .. ورد (عم عبده بقالنا العزيز) السلام بحرارة ..
.. وأقسم الصديق أن يدفع الحساب هذه المرة ..!!!

* *********

المستقيم

.. وقف أمام باب المنزل منشرح الصدر فقد أعجبته نهاية المسلسل العربي اليومي .. وضع النظارة ذات العدسات داكنة اللون فوق عينيه .
تردد طويلا قبل أن يختار طريقه ..
هز رأسه الذي غزته الشعرات البيض رغم مقاومة الشعر الأسود ..
هل يذهب إلي صديقه الذي ينتظره منذ نحو الساعة أم يستكمل طريقه إلي المسجد ..؟
كانت والدته تردد دائما :
نفسي أشوفك زى المرحوم والدك .. الأمير . المستقيم .. كان من البيت للجامع .. حرك شفتيه :
علي الصديق أن ينتظر فهو سيقدم له خدمة مجانية ..
نظر في ساعته .. آه لقد أزف موعد صلاة العشاء ..
همس : وقت العشاء ممتد .. لنفعل الخير ونذهب للرجل الذي أصابه القلق .. لن أسامح نفسي إذا فقدت صديقي والوفاء بالوعد واجب ..
شعر بقرصات الجوع .. تناول هاتفه النقـــال يسأل حبيبته عن الحلويات التي تريدها عند عودته ..
عندما تحرك بضع خطوات ليلحق بالصديق تذكر أنه لم يصل المغرب بعد .. هاله الأمر لكنه عزي نفسه بالسهو ، ثم تسارعت خطواته في طريقــه إلي المسجد ليتوضأ ويلحق بالصلاة ..

****

السلام عليكم وأدار وجهه جهة اليسار مع الإمام وصوت موسيقي تليفونه النقـــال لا زال يعبث بالمكان ..
خفق قلبه مع هذه النغمات الموسيقية الخاصة بحبيبة القلب ..
تجاهل نظرات استنكارية من جيران الصف ..
أدار رأسه الذي اصطدم بعبوس الصفوف الأخرى ..
.. هب واقفا واستدار يبحث عن الحذاء في طريقه إلي محل الحلويات ، والهمهمات من المصلين تنهال عليه من كل جانب ..

****

عقدة وشنيطة

..مازال نباح الكلب الأسود مستمرا ..
اكفهر الجو وعلا الغبار بينما سحبت الشمس ابتسامتها ..
الحمار يتخطى بركة المياه الآسنة في قفزة واسعة وهو يردد لنفسه :
ها ها لا يعرف هذا الغبي سوي النباح ...
عندا اطمئن الحمار لمكانه علي الجانب الآخر رفع رأسه وأطلق عقيرته ..
..ها ها ..ها ها ..
..هو ..هو ..كان الرد الفوري من الكلب المتربص وراء البركة ..
أحس الحمار بالذعر وأطلق ساقيه للريح وهو يحمد اللــه تاركا الكلب واقفا علي أربع .

****

في المياه الراكدة كانت الصورة بارزة .. كان الكلب العجوز يمسح بلسانه ساقه اليمني ..عندما رفع الكلب رأسه كان العبوس يكسو وجه جده الأكبر ..عاد صوته يرتفع ..

ــ هو هو ماذا فعلت يا مغرور ..؟
ــ هو هو لقد أديت الواجب ليعرف هذا الحمار قدره .. أضاف رافعا رأسه في الهواء .. لقد نجحت وترك المنطقة هاربا ..
ــ هو هو هذا هو الظاهر ..؟
أنصت الكلب وجده يقول :مازلت صغيرا حتى تفهم وأضاف :
.. إلي متي تستمر العداوة بينكما يا ولدي ..؟
ــ كل الكلاب تفعل ذلك ..!
ــ هل تكره الحمار ..؟
لا أعرف بالضبط .. عندما أكون مسترخيا تحت أشعة الشمس أتجاهل وجوده ، وعندما يغيب عن المنطقة أشعر بالحنين إلي مشاغبته .. لا أخفي عليك كم أشعر بالسعادة وأنا أطارده ..
ــ هو هو لن تصدق لقد كنت أنا وجده أصدقاء .
ــ هو هو أصدقاء ..؟
ــ نعم وكان الجميع يشهدون لنا بحسن الجوار ..!
رفع الكلب أذنيه دهشة وفتح عينيه باتساعها وجده يحكي

ـــ هو هو نعم اقــرأ التاريخ يا ولد .. واستمر ذلك حتى ظهور الثعلب بالمنطقة .
ـــ نحن والحمار والثعلب وكيف كان ذلك يا جدي ..؟
ـــ كنا نعيش جماعات متآلفة ومتحابة مع الحمير ، لا توجد لدينا مشاكل حيث الغذاء الوفير في السهول الممتدة والأشجار الباسقة والمياه الجارية . كلنا نتغنى بحب الطبيعة ونغني لها .
ـــ اللــه اللــه هل كنتم تنظمون الأغاني والأشعار و
ـــ لا تسخر أيها الجاهل هكذا، كانت لنا حياتنا العريضة ،وأمسياتنا الجميلة والأغاني الرائعة . وطبعا لن تصدق فقد كان هذا قبل أن تتبدل أصواتنا .
تمتم الكلب لنفسه يبدو أن جدي قد أصابته أمراض الكبر ..قال :
ـــ هل تقصد أنني كنت في الأصل حمار ..؟
ـــ ظريف أنت أيها الكلب الصغير .دعنا نعود للحكاية باختصار ، فقد كان الجيران يعيشون في سعادة حتى ظهرت الثعالب بأرض الدجاج القريبة منا
ـــ أليست الثعالب موجودة منذ القدم ..؟
ـــ كان هذا الثعلب جسم غريب بالمنطقة ، ربما تكون الأفيال قد مرت بالمنطقة قديما كما سمعت من جدي ..المهم ظهور شكاوى غياب الفراخ وترددهم علي منطقتنا للسؤال عن المفقودين ، إلي أن ظهرت بقايا الديوك الغائبة وتأكدوا من اغتيال الثعلب لها تحت جنح الظلام .
ـــ هكذا هجمتم علي الثعلب وطردتموه شر طردة .
ـــ لماذا لا تأخذ الأمور بجدية أيها المغرور . هذه مشكلة الجيران ، ربما كان علينا أن نصدي لهم النصيحة ليتجاوزوا مشكلة نقص بعض الفراخ ، لكننا بطبعنا مسالمون .عرضنا استضافة الجميع علي مائدة المفاوضات .
ـــ نعم فأنت مطمئن إلي أن الثعالب لا تأكل الكلاب .
نعم ولكن ماذا لو تكاثرت الثعالب وطردتنا من المنطقة . وتضامنا مع صديقنا الحمار أعلنا رفضنا لوجود الثعلب بالمنطقة وأرسلنا برقيات التأييد لمطالب الفراخ فهذا حقها التاريخي .
ـــ وما المشكلة إذن ..؟
ـــ كان للحمار رأي آخر .
ـــ تعدد الآراء مطلوب هكذا تكون الديمقراطية .

ـــ الحكمة تقول إن الاتفاق في هذه المسائل أفضل .
ـــ وهل كان تغير الأصوات ضمن الاتفاق .. ؟
ـــ انتظر في البداية لقد عاونا الفراخ في نصب حفر كبيرة كفخاخ للثعالب ، ثم طورتها الفراخ بالتضحية بأحد أفرادها كطعم داخل الحفرة .وعندما زادت شراسة الثعالب ،وزادت الهجمات ليلا ونهارا ، دعوت لاجتماع الجيران في أرضنا لمناقشة القضية بعد أن شم الحمار رائحة الخطر .
ـــ وبفضل الحكمة تكاثرت الثعالب بالمنطقة وأصبحوا القوة الكبرى في المنطقة
ـــ يا ولدي من يده في المياه الباردة ليس كمن يعيش بالقرب من النار هل كنت تريد أن نترك خيرات الطبيعة ونتفرغ لقتال الآخرين ..؟
لكننا لم نترك الأمور بدون مراقبة فقد رفعنا شعار الجيران لبعضها ..!
ـــ هل تعرف أن الكلاب كانت تشم رائحة الخطر علي مسافات بعيدة فلم تكن هناك مباني مرتفعة ،وطرحت فكرة الدفاع المشترك مع الجيران الذين رحبوا بها ، لكن يبدوا أن الثعلب المكار كان له أعوان بيننا ـــ وأنا أعرف أن الأمانة والوفاء من طبعنا ـــ فقد أرسلت الثعالب برقية سلام وطالبوا بأن يتم تقسيم المنطقة بين الفراخ والثعالب مع فتح الحدود بين الجيران .
ـــ وماذا كان القرار ..؟
ـــ طبعا فهمنا أن فتح الحدود يعطي الفرصة لطرد الفراخ خارج أرضها لتزاحمنا في منطقتنا .وانفضت الاجتماعات دون الوصول إلي حل خاصة بعدأ عرض الثعالب لفكرة التكامل التجاري بيننا علي حساب الفراخ المسكينة ،ولا تعترض لكنني أقنعت الحمار بالبحث عن حلول بديلة بعد أن زاحمتنا الفراخ الهاربة وأصبحت عبئا كبيرا علينا ، وكان الواجب حراستها فقد كانت تمثل حجة الثعالب للتسلل إلي أراضينا .
ـــ ولماذا تقترح حلول بديلة يكفي أن تطردوا الفراخ .
ـــ الأمور ليست بهذه البساطة يا ولدي فربما يطمع الثعالب في أرضنا أيضا ثم أن الفراخ كانت تعيش معنا منذ القدم .
.. ماذا جري لكم يا أبناء العصر الحديث ؟
ـــ كنت أفكر في مصلحتكم .. !
ـــ قررنا الاستعانة بالذئب الأحمر ، كانت أسهمه أكبر من الذئب الأبيض
ـــ ذئب ..!!

ـــ نعم ذئب واحد أرحم ، والثعالب تخشي الذئاب ، ثم أن هناك ذئاب أخري كانت تتمني أن نستعين بها وتتبادل المصالح معنا .

***

ضمانا لحرية الحركة ومراقبة تسلل الثعالب ،اقترح الذئب إنشاء منطقة عازلة ورسم خارطة طريق وزعها علي الجميع .

ـــ ولكن كيف تدبر الثعالب طريقة الحصول علي أكلها

ـــ اشترطت الثعالب الحصول علي حصة ثابتة من الفراخ لعدم مهاجمتها ووافقت الفراخ علي التضحية بجماعة منها مقابل السلام مع الثعالب مع إشراف الذئب وضمانه لذلك .

ـــ وما هو نصيب الذئب ..؟

ـــ لقد حصل علي حق الإقامة واستغلال المنطقة العازلة

ـــ وهل ساد السلام ..؟

ـــ لقد شعرنا ببعض الهدوء مادامت الفراخ قد قبلت الحل ، وقررنا التفرغ للإستمتاع بالحياة مع خيراتنا الكبيرة . وكانت نصيحتنا للحمير الاستمتاع أيضا فنحن بعيدون عن منطقة النزاع ، لكن كانت الحمير أكثر قلقا .

ـــ وماذا عن تغير أصواتكم وكيف توقف الغناء ..؟

ـــ مع حالة الإسترخاء لم نشعر بزيادة نفوذ الذئب فالقضية تخص الفراخ . وذات يوم حدثني الحمار صديقي عن مخاوفه من الذئب القوي وأطماعه في منطقتنا لكنني هززت ذيلي علامة القوة .

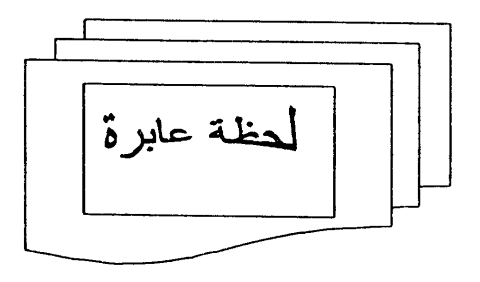
ـــ وهل تحدثت مع الذئب ..؟

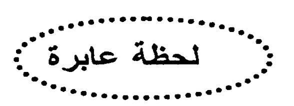
ـــ في الحقيقة كنت أعتمد علي معلومات الأجداد عنهم .. وكيف أترك حياة العز التي اعتدتها يا صغيري وأشغل رأسي بذلك ..؟

ـــ ومتي حدثت الواقعة ..؟

ـــ ذات مساء ونحن نمرح رغم تكاثر السحاب بالسماء أعلن الحمار أنه يشم رائحة ذئب فسخرت منه لقد كنت أعرف أن الذئب بعيد عن المنطقة ، وعدنا للغناء حتى صاح الحمار : هناك شيء غريب فوق ظهري ..

التفت نحوه وتوقفت عن الغناء قائلا إنه هو الذئب ..لقد كان ضخما ومخيفا أكثر مما أتصور . كان الحمار المسكين يرتعش من الخوف ويريد القول أنه ها قد حدث ما كنا نخافه وتوقفت كلماته عند الحروف ها ها ها وتوقفت كلماتي وأنا أشير إليه إنه هو هو هو

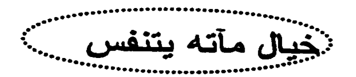

لحظة عابرة



لحظة عابرة

.. جلس فوق سور الكورنيش ..
فتح الحقيبة التي قذفتها الزوجة في وجهه .. قفــزت فاتــورة التليفون فوق كتفه اليمني ، وتسللت فاتورة الكهرباء إلي الكتف اليسرى .. وسحبت عينيه قائمة طلبات الأولاد ..
لعن في سره ساقية الثيران التي تدفعه للدوران معها ..شعر بالسور يهرب من تحته ، تشبث بالحقيبة ، سقط خطاب يحمل علامة الوردة شعار الشركة التي يعمل بها ..
.. هب واقفا وفتح الخطاب بعيدا عن موجات البحر المتلاحقة وضحكات النجمة الغريبة تلاحقه ..
السيد ...
.. ديفيد مالك الشركة الجديد يشكر لكم التبرع بمكافأة نهاية الخدمة لسداد ديون البلد ..!!

ركب أول موجة وانشد
جاء مساء يستجد
ودورة القمــر كانت تتحــداه
تتهد قلبي بجد
وتقلبت المشاعر علي استحياء
ووطن راح يبتعد
كلما نطقت ألآمنا بالآه
وأمل أخذ يرتعد
كلما مرت ذكــراك يا ولداه
وَنار أوارها يشتد
فترصدت مشاعري في أناة
لمحت الوطن الذي نفتقد
يغطي تاريخه الممتد
كافــور وملك وثوار طغاة ..



ـ ١ ـ

حكاية الثيران البيض

جلس والخوف يكسو عينيه وقد هرب عرقه رغم أنه في الظـــل تطارده لفحات النار والهجير ..استعاذ باللـــه من الشيطان الرجيم وحكايات عواد وأرضه ..أشاح بيده يطرد مقولة سعد زغلول ..

بسمل ..حوقل وهو يهز رأسه بعصبية وقــد أحاطت الغيـــوم بمدينته ذات القباب الخضراء ..

وحجبت النجوم ذكري كافور وملك وثوار طغاة في صحـــراء الهزيمة وسراب الأسطورة وهو لا يستطيع الفكاك من ضميره..

.. منطويا حول ذاته كان ، ما يزال في انتظار معـــونة أبناء العـــم والجـــيران ليعيد للمدينة المقدسة بسمتها ..

كان يحلم كثيرا بحكايات الأجـــداد .. وذكري يوم العبـــور ورائحة أكتوبر السكرية التي لا تفـــارقه رغـــم أمطـــار الكوارث ، وفوانيس رمضـــان وشموعها الشاحبة مابرحت متقدة بالذاكرة ..

فرغ من شرب القهـــوة ، قلب الفنجان ، فتح (المندل) واستعان بالنجوم واسترجع الحكاية وسكنت القهقهة في أذنيه ..

المندل في القرن الواحد والعشرين ..تجاهلها والخطوط تتضح:

إقرأ الكتاب ..كما بعتم يبيعون ..

إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل .. إنها المكيدة يا ولدي ..

وألجمته الحيرة ..كيف لا يصدق الأبناء هذه الحكمة الخالدة ..؟

كان يحكي لهم قصة الثيران الثلاثة مع الأسد والذي تحول إلي غول وكيف خدعهم وهم مسبلو العيون ، باسمو الثغر لإعلانات التلفاز عن الأمل والسعادة في شكل حبوب ..

..عاد يرددها لهم (أُكلت يوم أُكِلَ الثور الأخضر)

.. قالوا وهم يتثاءبون :

نحن في عصر الفضائيات وتحكي لنا عن الثيران ..!!
.. الفارق بسيط .. من يصدق أن الأسد الذي جبن عن مهاجمة الثيران في وحدتهم استطاع التهام الثور الأول بالخديعة وبعلم إخوانه ..
.. هل تعلمنا الحكمة ..؟

****

وشهد شاهد ومشهود .. لقد أغلقوا العقول ..
قالوا بهمسات صوت شاحب ربما تجد في أفلام الكرتون ذلك أيضا ..
ويعلو صوت القهقهة وربما يأتي صلاح الدين أو سوبرمان ..
..عندما ساد السكون خيل إليه أنه يسمع صرخات جيرانه ذوي القربى وهي تطغي علي نحيب من تبقي من الأبنـــاء هناك .. وخرجت أنفاس متحشرجة تسبقها ريح تحيط بالمكان بعدما أكلوا البيضة الوحيدة واختفت أصوات الفراخ ..
هتف بجزع : يا ربي ماذا جري لجيران هذه الأيام ..؟
أين الثور الأخضر ..؟
.. لم يسمع شيئا فعاد يرهف الآذان لصيحات البطون متسائلا :
أنهم كمن ينتظر هطول الأمطار في الصحراء الواسعة ..**همسات الضوء الشاحب** تردد ..
وربما ستمطر السماء المعونات الأجنبية ولحوم الثيران المجمدة .. وربما .. وجاءوا أباهم عشاءا يبكون ، أجهشت جميلة بوحريد بالبكاء ، وغضب عرابي ، وانسحب يوسف العظمة ، ومزق أبو القاسم أشعاره أمام عمر المختار .. عندما ضحك ميشيل عفلق سري في جسده حزن شفيف وقـــد أحاط به تنابلة السلطان وتوقفت الصــــور أمام عينيه واختفت الخضرة من الصورة ..أعيته علامات الاستفهام الآخذة بخناقه .. تباعدت كلمات الأب مع ظله الذي استطال كثيرا وأحاطت همسات الجد بمسامعه ..
الجميع يبحث عن الحل ..؟ وتساءل عن المرجعية ..؟
ولم يفهم ما يجري في سوق عكاظ التاريخي وتوابعه المخيفة ..
عندما امتطي الغول العنقاء حلما سقط في المسافة بين الحلم والواقع وكانت الكلمات تشبه صهيل حصانه الذي ذبحه ذات يوم كرما .!!

****

كان الرجل واسع الخيال ..يمتلك الكثير من نوادر التاريخ ..

عندما سألوه عن الحل قالوا وقد أعطوه أذانهم انه جحا العصر ، فغروا الشفاه وهو يحكي لهم كيف تنازل أبو الكرم حاتم الطائي عن بتروله ..
ضحك الأبناء ..قالوا ولماذا لا يكون الرجل الوطواط الذي يأخذ من البلهاء ليعطي الأذكياء ..هكذا أعياه التفكير وهو يعبر دلتا النهر ومستنقعاته علي قدميه .. كيف تغير سلوك الجيران والأبناء لا يفهمون ذلك أيضا ..
الجار البعيد كان قد أغلق عينيه وأذنيه عن الصرخات واكتفي بالرسائل وهــو يحلم بشعارات جديدة ترفرف بها راياته العالمية فوق النهر الأسود ذهبا .. هرش الرجل رأسه..هل يرسل لهم حكاية الثيران مرة أخري .؟
قالوا ربما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن لقد جاءوا شيئا إمرا ..
كانت أحلامهم أكثر ابتساما وهـــم يظنون أنهم سيعيشون حياة الملوك التي صوروها لهم يوما بعد خلع العقال ..
أقربهم يغمز لأحاديثهم الرنانه ، وعلي ضفاف النهــر الأصفــر اللامع كانت تتسع ابتسامة ابن العم وسط أكــوام الأوراق الخضراء ، لقد كانت شيئا نكرا .. اشتاقوا إلي السهر مع نيران زرقاء ..
.. والصلاة والعمل يا أبنائي ..
.. بكره يحلها الحلال فاليوم خمر وغدا أمر ..
لقد كفروا بالشرعية ، وعاشوا هوس الإذلال الذي يترجم رقصاتهم الحافية وسط الأكوام إلي عزاء لا يبدد العطش ..أحس بلفح نيران قلبه التي تزداد تأججا وقد ضاعت من أقدامهم علامات الطريق ..

****

دخان الشيشة يملأ المكان ..
أطلق الرجل بعضا من البخور ..
رفعوا أطباق الطعام كما هي ..
لم يلب الدعوة سوي عجائز القوم ..
ما الذي يشغل الأبناء ..؟... قالوا : ألم تجرب الحب ..؟
.. بلي يا ولدي ..فقد تكون امرأة يهواها القلب هي من بعث لها الدنيا ..
ولكني لا أريدكم أن تدفعوا الثمن ..
.. قالوا وكيف ضاع يومكم المشهود ..؟
وضج الهواء بالضحكات الماجنة ..

.. تاهت خطواتنا مع خارطة الطريق ونحن نبحث عن السلام الحبيب في قصر مرصود .. الصق أذنه بالفنجان .. وطغي صخب التانجو النابالمي والروك أند رول الدبلوماسي علي أفكارنا ..
ولماذا لا تبحث عن مكان بالقمر ..؟
.. بلدي اللي فيها مراتي ..
رد الآخر لا بل بلدي اللي فيها الفلوس ..
.. ودندن القلب .. بلدي وصباي وأحلامي ..
.. بلدي وهواي وأيامي .. ورضا أمي وحنان أبي ..
حبس دمعة وهو يسأل عن الثور الأحمر ..
.. إلي متي سينتظر .. عندما أصبح الآخــر المثل والقــدوة للأبناء شعر الرجل بالخطــر .. أين الهوية ..؟
لقد ضاع ظل أبيه ، وكسا العبوس وجه جده ..
عاد يحاورهم ولم يستطع ترجمة الكلمات ..
.. كانوا يتحاورون بالأيدي وهــز الوسط ، فتضيع كلماته بين الأقدام ..
صرخ فيهم فأصموا الآذان ..
حاول بالقدر الممكن الاحتفاظ بتقاطيعهم التي تاهت مع موجات العولمة ..
طفح الكيل فلن يسألهم شيئا ..
راح يستجدي التاريخ وهو يهمس :
سأستغفر لكم ربي ..
ثم حاول اخــتراق الأبواب والمضايق بسفينة نوح هــربا من الفيضـــان القـــادم ، هــز رأسه يطــرد الوســاوس..
ويعلـــو مستوي الصمت الغائب في دروب المخيلة
.. إذا جاءك الطــوفان ..
عندما أحصي الأزواج من الركاب صدمته الدهشة وقد اختل توازن السفينة
.. كاد التيار أن يجرف السفينة مع تزايد تذمر الأبناء ..
قذف ببعض أوراق البردي والسافانا الخضراء لتعويم السفينة ..
عادت الأمواج تحمل الأوراق وحكايات عجيبة ..
****
أصاخ السمع والأمواج تعلو واحدة تلو الأخرى ..

كان الغول الأبيض قد فرغ من التهام الثـور الأحمر وما زال يعيث فسادا في الغابة .. عندها سأل عن الثـور الأصفر وكيف اختفي خواره الذي ملأ الشرق يوما .. لم يجد سوي بضع رسائل .
فتح رسالته الأخيرة كانت صفراء أيضا ..
لابد أن يعيد تذكيره بحكاية الثيران ..!
.. قالوا أنه أخفي قرونه وهو لا يصدق أن الغول الأبيض قد اعتلي حـدائق بابل المعلقة دون صدام عزيز مع الشرف والكـرامة والتي هربت إلي ركن قصي .. ولاذ بالحكمة الكونفوشيوسية ..
.. صمت الرجل مع السكون الطاغي وتجاهل الجميع ، وقـد تغيرت رائحة الهواء وزادت نسبة الكربون مع موجات الندم .

****

للمرة الأخيرة أغمض عينيه يحاول تذكر ملامح مدينته كما حكاها جده وذكري الطواف الأخير ..سيعيد حكايتها للأبناء مع قصة الثيران ..
عندما استفسر عن جزع الابن أخبره أن ألوان الطيف قد تغيرت في المناهج التعليمية وتم توحيد ألوان الثيران ..
.. راح يحدث نفسه بصوت مرتفـع ليتذكر حروف لغتـه المهجورة وقد جلس علي حافة النهر ..
أخذ يتنفس بصعوبة ولم يصدق المكتوب رغم **الصلاة** ..
النهر مغلق للتحسينات ..!
يسترجع الحلم من خلف السور الممتد بلا نهاية وقد غاصت أقدامه في (المندل) وهربت النجوم .. تحرك تيار هواء من وراء السور يحمل حجارة الأطفال ..
ماذا تنتظر ..
..كان صاحب الأسطـورة يضحك وهـو يطلق الرصاصات المطاطية ..
.. انطلقت ضحكته فهو صاحب النكتة ..كان ينتظر انصرام اللحظات الأخيرة من العام متناسيا أحداث الأرض المحتلة وهو يشاهد مباراة لكرة القدم والجماهير الغفيرة تهتف لصاحب الهدف الجميل ،ساعتها تمني لو كان ابنه ، ثم تذكر إنه عربي يكتفي بالضحك .. تذكر مزحة صديقه ..

واحد عربي صدمته دبابة فخرجت روحه لتصدمها طائرة ثم سقطت لتصعد مع صاروخ فضائي يحمل قمرا صناعيا ، سقطت الأشعار التي كان يحملها ليتغزل في جمال القمر ، وعندما دارت حول الأرض ابتسمت لمرورها فوق الأبراج البيضاء ، ولكنها عندما شاهدت المنطقة الممتدة من المحيط إلي الخليج تقمصت روح فولتير في روايته مايكروفيما وصاحت:
ما هذه الفوضى هل يمكن أن توجد حياة في مكان مثل هذا..؟
من المغفل الذي يسكن هنا..؟
صاح الآخر : حسنا لعلها مسكونة بهؤلاء المغفلين ..!!
تجرع المرارة وأجابه.. ربما ، فقد سكنها الكثير من الأغراب
ففاجأه :هل ستتركونها للأغراب بهذه السهولة ..؟
تقمصت الدور أنا أيضا قائلا :
ــ التاريخ يعيد نفسه يا سيدي .
ــ تقصد التغيير والتجديد .أم تقصد الموت والحياة ..!!
التقط الفنجان من جديد ..
نظر داخله ..
اضطربت الرؤى وقــد اسودت الخطوط وارتفع زبد الموت الحالم ..
واختفت الحجارة بينما ظلال الأشياء تخفي قبــة زهــرة المدائن التي أصبحت قانية الحمرة ..

****

غصـــن الزيتـــون

كان يجب أن يبكي وطيف زهرة المدائن لا يفارقه ..
أوقفه صوته المنفلت بحـــدة .. استرجع التاريخ وأدار وجهه للحاضر ..
ساد الصمت فتصفح الحاضر الكئيب .. مط شفتيه وعاد إلي التاريخ ..
أعجبته تلك الهرولة بين الحاضر والتاريخ .. وتوقفت ابتسامته مع قطعة بلورية وجدها تحت قدميه وهــو يبحث عن غصـــن الزيتون ..
أمسك بوجهه الشارد في البلورة ..
مقيدا إلي أفكاره كان يحلم ..
الهتافات تصك الآذان وهو يتسلم غصن الزيتون من فارس بني خيبان الذي ذهب إلي الكامب يبحث عن الكترون يحارب معه ولم يعد ..
لسعته القيود النارية الخابية لأفكار زمن ولي ، وعمر قد انفرطت حباته ،فاستند برأسه المتصدع إلي سرابه الممتد بطول صحراء لياليه ..
فتح الحلم وأوقد شموعه وهو يبتسم لأمنا الغوله ..
عندما اختفي الغول بعد الألف ليلة لم تكن هناك طيور ترفرف فوق نباتات الصبار .. وبات الليل هواء يستبيح ضوء شموعه الشاحب ..
وامتدت العتمة لتقتنص روحه وضحكات الغولة تصم الآذان ..
وشعر بالألم يركض خلايا جسده المستباح وهــو يتفقد طرح الزيتون المهجور كظم غيظه واستجمع شجاعته وركل اليافطة بقوة ..
طوي الحلم واستعاذ باللـــه .. كان يدور ويدور حول بقايا جذع شجرة خلفتها بلدوزرات العدو ..
أعاد النظر وهو يقلبها بين يديه ..
توقف كأنما يبحث عن شيء ما..

****

استطال الوجه البلوري فالتقط الصورة من جديد ..
في الركن البعيد من الصورة تغيرت البسمات ..

حبس صرخة ملأت فمه .. كانت البسمات صفراء على تهجم أبيه الدائم ، وأكثر ظلالا مع نفاق عمه متعدد الألوان ..
ويبدو لون الحزن البارز في عيني أمه أكثر وضوحا، مع القليل من صراخ جيرانه الذي تبعثر في أنحاء الصورة..
كان قد انقطع عن الصلاة وتوسد ميراثه ..
قالوا الدعاء يكفي ..
فليذهب من يشاء ليقاتل مع الرب ..
مد زفراته تغطي شاطئ ذكرياته ..
.. كان كمن ترك عوده بعد أن تمزقت أوتاره مع اغتيال الأمل وسط الدروع البشرية .. وساد الظلام ..وخلا الكورس من أبرياء الأطفال ..
زادت الظلال تباينا في الصورة ..
.. عندما أغمض عينيه كان الضــوء البارز ليوم الغفــران الرمضاني والذي يحفظه الجميع يتلألأ بمعانيه الخاصة في النفس المكلومة ..
والأمل يبدو كبقعة ضوء تتحرك في بهو شاسع من الظلام الدامس .. لكنه استمر في النواح فقد هربت الحجارة من المقلاع ، وأصاب الرأس العطن بعد أن أجدبت العيون من البكاء .. لم ينتبه للهمسات ..
قالت النملة .. الهرب ..
الهرب فلا يحطمنكم الفيل ..
.. وربما تعود طير الأبابيل ..
وقال صاحب الإبل .. الحذر يا ولدي لقد مللنا الأغنيات ، وهم قد يسقوننا نشيد الموت الرخيص ..

****

في الجانب الآخر من البلورة كان الوجه أكثر اكتنازا ..
عاد يحلم بدوران الدائرة ..
توقفت نظراته وسط الدائرة ليجد أن الأيام تتسرب من بين يديه بلا رحمة .. جلس إلي غصن الزيتون الباقي وحيــدا ينتظر عــودة حصان الفارس بعد أن داهمت جنته دبابات العدو في عجالة وأعادت تثبيت اليافطة ..
قرأها بصعوبة (عمور ة)..
راح يرنو إلي الفضاء الشاسع وقد اختفت أبراج السلام والعبور والنصر وحطين وذات الصواري وأم المعارك ..

نظراته كانت تحفها واحة من الحزن الشارد ..
كان يجري ويجري بذكرياته مسرعا كلما أحس بفحيح الأنقاض من حوله .. قلب البلورة مرات عدة ..بصبر أيوب يلاحق الأحداث بأنفاس مستوردة ..خدعوه وتورم الشفتان يبـــدو أكثر وضوحا فشاركهم في المرة الأولي ..
كان مع الغريب علي ابن العم ..
رأسه يدور وحزنه يتعاظم مع سقوط الثانية بين براثن العدو ..
جلس إلي شجرة الزيتون فتلقفه الهواء من أسفله ..
قالوا الثالثة ..
.. ..
.. دارت رأسه ارتطمت وعادت متفسخة وتناثرت حول معبده المهجور تلفحه نار الهتافات خلف الأقنعة السوداء بعد أن سقط في الكمين ..
يستعر الهروب بتوهج أكبر في نفس الذاكرة ..
طوح الريح صراخه وهو يتذكر ..
.. يسترجع ..تثقل رأسه ..
تهرب الكلمات وقد عجزت عن إبراز المعني المقصود ..

****

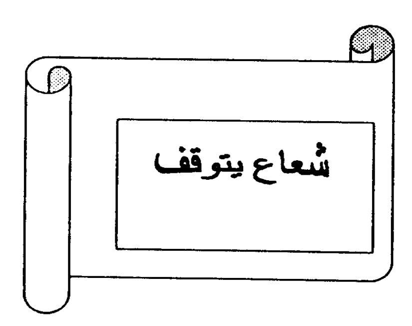
جلجلت ضحكته مع الوجه البلوري .. تاه وسط تلافيف العقل ومنحنياته ..
كانت الصور المتراقصة تهتز بخفة ودوي طلقات الرصاص لا يتوقف ..
الأفكار تدور و لا تتراجع ..
الطفل يعتلي دبابة العدو ويحتضن العصفور المصاب ..
خرجت الجماهير الساخطة وراء الأعلام زحفا فوق الكلمات تطالب بالثأر للعصفور الجـــريء ..
مع الغارات تراكمت الأحداث حول جفونه ..
.. لم يتردد ..
تبوأ مكانه ورفع أصابعه في الهواء علي شكل علامة النصر ..
عاد يوقد شموع الحلم ..
ازدحمت السماء بعلامات نصر وأقنعة بيضاء وسوداء .
*****

أشعل سيجارته ، نفث دخانها بعمق الهواء من حوله ، تحوطه حلقات دخان بألوان مختلفة ..
أغلق النافذة البللورية .. فتحها ثم أغلقها ..
كان الهواء يطارد وهج الشموع ..
تصمت الأحداث وشعاع السبابة يخترق الهواء لتسقط نجمة غريبة الأبعاد .. أومأ بسبابته فانطلقت أشعة تدمر دبابات العدو ..
تذكر الطفل والعصفور ..
أغمض عينيه ثم راح يرفع أصابعه في الهواء علي شكل علامة النصر ..
.. ازدحمت سماء الفضائيات بعلامات نصـــر ، وأيدي متشابكة ، وأقنعـــة بيضاء من جـــديد ..
..ابتسم الطفل فحرك السبابة يرسم ملاكا فوق عـــربة سماوية ترفعها حمامات بيضاء ..
.. رسم بالإصبع الوسطي بندقية ينطلق رصاصها نحو المايك والكاميرا ..
هربت الصور مع **النظرات الخادعة** ..

****

رفع البلورة ..
حملقت دهشته ..
مازال الرجل رافعا أصابعه علامة النصر وهو يحلم بتدمير العدو والحمامة البيضاء قد بنت عشها فوق أصابعه ...!!!!!
.. عندما ظهرت نجمة الصباح ، كان الحلم قد ركب ظهر السحاب..
ما عاد الحلم يفتح صدره للرءوس العطنة ..
.. وحدتـــه الغريبة كانت تتبخر وهـــو يحتضن صورة الطفـــل والعصفور مـــع أنفاســـه المتصـــاعدة ، أبحر بسفينته الشراعية فوق أمواج الذكري ..
كست المياه البيضاء العين اليسري بينما احتلت الزرقاء العين اليمني ..
لامس لهب السيجارة إصبعه فأنتفض وسطعت المفاجآت وسط الظلام ..
العالم يرقص صخبا والأنفـــاس تكون سحبا ثقيـــلة..
.. كلهـــا كانت تحجب الحمامات البيضاء ، والتي باضت فـــوق الأصـــابع المرفوعة ..!!

***


شعاع يتوقف

شعــاع يتوقــف

انتهت الغــارة الجــوية ..
خلــت الســماء من الطيــور .. خرجنا لنبحث عن الأحياء وسط الأنقاض وذرات الغبار والدخان المنتشرة..
خرجت هي تبحث معنا وقد تحجرت الدموع في عينيها ..
كانت وحيدة دائما وهي تلتحف التاريخ وتتمسك بالجغرافيا ..
أمســكت بــيدها ونحــن نســتحث الخطي وسط أشباح السكون والنباتات المتقحمة تلاحقنا .
لم نشعر بالزمن فقد تاهت أقدامي وسط الجثث ..
وضعت يدي فوق أنفي وأغمضت عيني ..
توقفت لالتقاط الأنفاس ..
أصوات غريبة كانت تردد همسات تنتشر من حولنا ..
أسرعت الخطي هربا ، ثم توقفت أبحث عنها ..
الطنين يزداد في أذني عن الأرض اللي بتتكلم عربي
عادت الأصوات من جــديد ..
كان من بينها أصوات الأحبة التي ارتفعت في **صلوات** ..
جففي الدموع يا ابنتي ..
الأمل موجود ..
هززت رأسي وشبح ابتسامة يراودني ..
لقد كانت هي تؤمن بهذا الأمل بعمق ..
رحت أبحث عنها لأزف لها البشري ..
أسرعت إليها ، لقد كانت هناك ...
كانت تقف أمام جثة بلا رأس وقد تسللت الدموع من عينيها..
جذبتها من يدها ..
.. تقدمتها ونحن نستحث الخطي المتثاقلة ..
تلفت مثلها للخلف هلعا..
كانت أصابع الجثة تشير إلي شئ ما ..

سرنا في ذلك الاتجـــاه ..
..لم نجد شيئا .. !!
دارت رأسها تمسح المكان ..
تعلقت عيناها بالسماء ..
أشارت هي بيدها ..
كان شعاع الضـــوء يقـــترب ..
أفسحنا له الطريق وقد ران السكون علي المكان ..
سرنا خلفه وبريق غريب يبـــدو في عينيها ..
توقفنا عندما توقف الضوء ..
ابتسامتنا تتسع دهشة ..
كـــان هـــناك صبي قـــد وقـــف رافعا يديه وأصابعه تشكل علامة النصر وهـــو يصـــرخ ..

///////////

توائم النـــورس

.. ما الذي جعلني أهب فزعـــا من نومي المتقطع قبل أن تدق ساعة المنبه .. أصابع مرفوعة وحمامات بيضاء وراية سوداء .. هززت الرأس فسقطت شعرة بيضاء ، وهرشت الخدين ..خير اللهم اجعله خير..

كالعـــادة كان تنظيف شوك القنفذ الرابض فوق ذقني أول ما أفعله .. تطلعت إلي الصورة المعلقة طويلا ، قرأت الفاتحة قبل أن أصفق الباب خلفي .. كنت قد ارتديت بنطا ل الصوف الخفيف متعدد الجيوب وقميصي الكاروهات ومربعاته الواسعة ، والذي دفعت جمركه قسرا في بورسعيد ، وذكريات تلازمني مع بلوفر أخضر أعتز به كثيرا أهداه لي أخي سمير ..

كل شيء ينبئ عن يوم جديد قررت أن أخلو فيه إلي النفس ، مغيرا بعضا من العادات اليومية مع ممارسة التنفس الصحي ..

لقد ألقيت هموم الحياة اليومية وراء الظهر .. فلا لهاث وراء أوتوبيس ، ولا فزع من (زومبة) من جمال زميلي في العمل عندما يفشل في إيجاد مخرج من مشكلته ويستجير بالوشاية وقد القاها علي كتفي بعـــد أن أبلغ الريس بذلك وقد حبكها من خلفي وصدقوه ، وما أكثرها هذه الأيام وقد سودوا راية النهار ..

وتتسع الضحكة الصفراء للريس .. (النهاردة غير إمبارخ يا خبيبي) ..

بإشارة مني تصبح بدون عمل ..

اتسعت ابتسامتي للمرة الأولي وأنا أسير في طريق مختلف . وجوه جديدة ومناظر مختلفة أمام (قهوة فاروق الثاني) بميدان اليازبيث بكورنيش الإسكندرية ..رجعت بمقعدي للخلف وطلبت قهوة بالمستكة والحبهان ..

مع الأدخنة البنية المتراقصة أمامي ناوشتني الذكري ، تحسست جيب سترتي ، لمست أصابعي خطاب فاتسعت ابتسامة الصورة .. وجهها الناعم يبوح بالعشق الخجل وصوتها المتهدج كان يأسرني ، وكأنما ركبت المترو إليهاعلي غير إرادة مني — وفي عيني يتوهج ألق الخضرة وابتسامة الوجه الحسن — وحيث أشجار التوت الهائلة كانت ملاصقة للطريق الأسفلتي المؤدي للمنزل ..

فراشة تتحرك كانت .. تأخذ يدي بين يديها البضتين وتضحك ..

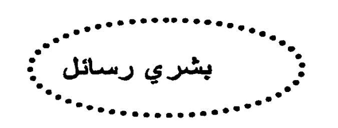
هي هزيمة فقط يا باشا ..

..نعم سيأتي اليوم الذي تنزاح فيه الغمة وسنفرح إن شاء اللـــه
..تسرح وهي تنظر إلي النوارس البيضاء الحائرة في الأفق ..
.. النكسة حين يموت الحب ..
تحكي عن الحب في منزلهم والأمل في شارعهم .. الهمسات تملأ المكان ،
والقلوب تعرف بعضها جيدا .. كانت تسكن حي إخوان الصفا ..
ضحكت قائلا ..
..هل نحن في المدينة الفاضلة ..؟
أشاحت بوجهها .. أخذت أتابع نظراتها ..
كـــان علـــي مرمـــي البصر نورس وحيد رقد فوق الرمال وعيناه معلقتان بصفحة السماء ..
ـــ ماذا يفعل هذا النورس ..؟
تنهدت هي .. ربما يقرأ المكتوب ..
همست ..إنه يرفع الراية البيضاء ..
ســـوف أقـــبلك بوله وآخذ يدك بحنان ، وأشعر بدفئك الحبيب ، وأتمني لك أجمل الأماني القلبية ، ونعيد معا طلاء نوافذ أحلامنا بلون أكثر دلالا ..
تتسع ابتسامتها وقد التصقت بي واستكانت كقطة سيامية .
ورأيتني أهبط بجذل علي شعرها العتمة المنسدل في نعومة ..
وحلقت الطيور البحرية في دوائر حولنا ..
قلت : ما هذه الصيحات ..؟
قالت : إنها تعرف الأصول ..كأنها تطالب بمقابلة الوالد أولا ..
ضـــحكت يومهـــا كثـــيرا رغم ليالي النكسة الطويلة وبحورها خلف الراية الســـوداء .. تسربت الضحكة والهواء يداعب الخيوط البنية المتصاعدة من الفنجان . صوت الرشفات يعلن عن تلذذه وشاربه يمس حافة الفنجان ..
ليالي الأنس الحقيقية كانت هناك يا سمير بعد اللي حصل مع لويس ..
وفي الدفرسوار وبلدنا ع الترعة بتغسل شعرها مع قطز وبيبرس ،وصلاح الديـــن الواعـــر ابـــن ناظـــر الابتدائـــي بالعزبة يصب الشاي في أكواب الزمزمـــيات البلاســـتيك وابتســـامته تتسع ، وجهه لم يكن يعرف الكذب ..
ومنصـــور البارودي الجندي مؤهلات والشهير بسقراط سرية الهاون يغني وهو يحتضن الدبشك ويدور حول عامود التشين الاحتياطي رغم -----

صـــيحات الـــتحذير مـــن بلدياته الشاويش رمسيس صاحب الشارب الكث والقلب الأبيض وطلقاته الفشنك . وكنا جميعا ندندن والأصابع مرفوعة ..
راجعين ..راجعين با يدنا سلاح ..
..شايلين .. شايلين رايات النصر ..
فـــي اللـــيل الكحـــل المرتجف بالآهات ــ والهزيمة تحيط بنا ــ كان البوح باتســـاع الأحلام ، يومها عرفوا حكايتي مع سمية بعد هروب حروف كثيرة .. عرفـــت لحظتها أن الحب يتسع لأشياء كثيرة رغم اختفاء **جدائل** حبيبتي ..حبســـت الدمعة قبل الفضيحة .. وهذا القلب الغض الذي أوجعته الأحزان قـــد استكان علي شط القناة في انتظار المجهول ، وأصداء تراتيل جنائزية علي البعد كانت تعرقل خطواتي لألحق بها .. وتجمدت فلا حب ولا نسيان .. تمسه قشعريرة وتسري النيران في جسده فيطلب كوبا آخر من القهوة ..
كانـــت الشمس المتسلطة والتي دبغتني وتسللت إلي مسام جلدي قد قهرتني حينما أخفت عني الخبر وتساوي الليل والنهار ..
ما زلت أتابع الأبخرة البنية وكأني أري دموعها تتحدر علي وجنتيها بالفعل بعـــد أن كانـــت وردة بيضاء تفوح منها روائح الحب تحت ظلال الأشجار الوارفة ، ترتفع التنهدات وقد سقطت أوراق التوت مع **الذهاب الأخير**..
أنـــا لا استحقها .. خفضت الرأس تحت الظل المنهوش للشجيرات الجرداء علي شط الترعة شحيحة المياه وأمام باب المسجد الغلق ، لم أسأل نفسي يا سمير لماذا انتقلت لتعيش في حي جديد لا تدركه أبصارنا ..؟
وكأنمـــا طغي البصر ، كان الخلاء وأصداء الخوف الرنانة ، والبيادة التي تـــثقل خطواتي ، وقايش الوسط الذي التف حول الأمل الشاب بعد التخرج من الكلية قد غيروا من طريقتي في التفكير وران علي القلب الكثير ..
مهمـــوم القلب ، وحيدا كنت أجلس أرقب صفحة السماء الزرقاء ..نظرات النورس لا تفارق خيالي وقد رسمت له صورا عدة ..
فـــي الأولـــي كـــان يسبح في نهر الحب ، وفي الثانية تعلقت أنظاره بسماء الأمـــل .. ضيعته ليه كان التوقيع علي الصورة الأخيرة مع رشفات حبات القهـــوة ببطء .. وتلفت بحثا عن ملامح الأمل المغترب وسط السكون الذي خلا من وشوشة العصافير وصفاء الابتسامة ..

هـــل هـــو اعتراف كهنوتي بالآمال الموؤدة ، والاغتراب القسري ومرثية الأحلام الهشة ،وهذا الانسياب المتدفق للمشاعر الذي يخدشه التأمل الفاصل بين الحلم والواقع ، ويتدحرج فوق جسر التنهدات وضياع المسئولية..
هل توقف المترو في منتصف المسافة بين الحلم والواقع ..؟
توقـــف فنجان القهوة في الهواء فقد تبين لي أن الطريق قد تغيرت معالمه بالكامل بعد العبور .. ارتطم بساقي وتد خشبي قديم وأنا أتحاشي جمهرة قد أخـــذت بخـــناق الـــبعض منهم ، وحمدت اللـــه علي أنها بعيدة عن مكان الرصاصة القديمة ، ولم تصل إلي مكان لدغة العقرب ..
وتعـــثرت امـــرأة فـــي كومة قماش كانت تحملها ، وهي تحاول الهرب من طريق السيارة المسرعة ، رفعت طفلها الذي سقط وأشاحت بيدها في وجه السائق الذي بادلها السباب ..
أبواق السيارات المسرعة أدخلتني أحد الأزقة ..
اشـــتريت قطعة شوكولاته ، كانت تحبها كثيرا ، التهمتها وحدي وهي تشيح بوجهها عني وقد اختفت ابتسامة الصورة وراء الراية البيضاء ..
شـــعر بالرجل الجالس بالقرب منه يهمس للنادل ليبحث عن قناة فضائية من النوع الذي يفتح النفس .. وضع الرجل ساقا فوق الأخرى ودخان سيجارته يزر غد في الهواء ..
أشاح بناظريه بعيدا عن الرجل ، وتململ بمقعده ، أزاح فنجان القهوة الذي برد سطحه ، ولامست يده الخطاب بمكانه ، وتحسس ذقنه ..
وابتســـم بمـــرارة للأيـــام الفائـــتة بعيدا عن شط القناة ، وخلت السماء من الـــنوارس والحمامات البيضاء مع الحب الضائع والنصر الموؤد .. والنهار المصـــبوغ يفضح كل شيء وقد ترك الشعرات البيضاء تتخلل فضاء القلب بعد أن احتلت الرأس والذي استكان مع قهوة الصباح البنية ..

*****

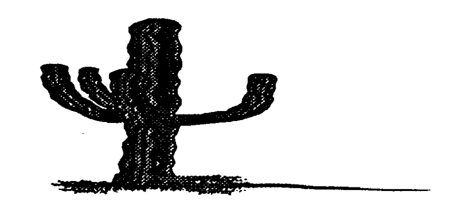


بشري رسائل

عــندما حــل المساء ضيفا بالسماء وتأرجح الحنين بين المد والجزر توقف القلــــم ونبضـــات القلب تهفو وراء همسات الأمل .. عندما يتدفق الحكى ماســا شــغاف القلــب يا بشري ، تختلط الأماني مع ابتسامة نور ..جدتي ..وزهرة الأوركيد تفترش مكانا علي صدري النابض بجميل الذكريات ..
..ذات عشــية والســماء تضحك لسرب الحمامات البيضاء ، داعبت أناملي الجيوب العامرة بالحكايات ..ارتجف القلب فرفعتها لأعلي ..
..انعكست أشعة القلادة تنافس ضوء القمر الفضيي ..
وتعرفيــن أن للقــلادة وحــباتها التــي أطلقنا عليه أسماء العواصم والمدن العربية خارج الحقيبة مكانتها الخاصة ودلالاتها الكبيرة في العين والقلب يا سيدتي ..
رغما عني تسللت نظراتي ترقب شعاع يبحث عن الحقيبة الغائبة والمملوءة بالأسرار والرسائل هل تذكرينها يا بشري ..؟
هــززت رأسي .. لقد كنا ننتظر مع ايزيس لحظة وصولها إلي أيادي محبة وفية مع أمواج النهر الخالد ..
مــن بيــن الأصــابع المضيئة تسربت إلي أنفي يومها رائحة جميلة ..لقد وجدتها .. لن تصدقي ، ولقد سال لعابي مع قطعة شوكولاته ..
وتعلقت بالشعاع الرابض وراء الأبواب المغلقة ..
كنت أظن أن الحقيبة هناك ، ولكن طعم الشكولاته كان لذيذا ..
دارت أعينــنا ساعتها تفحص المكان ، باغتنا شعاع وكأنما يبحث عن خاتم ســليمان .. علي ضوئه لمعت القصاصة الفضية ، وتسربت ضحكة فيدرا مــن الحقيــبة الغائــبة .وانسابت الذكريات حبيسة الشقة المهجورة ، حاملة نســمات أنفاسها علي ضوء خافت ، لقد ورثت الخوف من العتمة مع حب الشوكولاته .. ترقرقت الدمعات وعزيزة تسال متي ستعود ..؟
لبني تنتظرها بلهفة ومذاق العنب في فمها ..
تمسح دمعتها .. لقد كانت تنتظر ولادة قطتها ..
.. كم أنت طيبة يا عزيزة ..
..وما هي أهمية ذلك يا أم لبني ..؟

..تنهدت ..هكذا أنتم ..صرخات الميلاد هي الأمل يا سادة ..!!
ساد السكون .. قطعه أزيز الباب ..
كـــان طـــيفها يحمل قطتيها تلتحفان شالا صوفيا جميلا. وقد افترشتا أرض الكرتونه بلونيهما الثلجي .سألت عزيزة عما تراه وهي تحدق نحو الباب .؟
قالت كأنما هي .. نعم فقلبها هو موطنها ..!
هززت رأسي مع طنين الذكريات .. لقد قابلتها هناك بدارهم بغزة المكومة علـــي شريط البحر ..كانت عروسا هيفاء القوام مسدلة الشعر الفاحم ، الذي يـــتماوج مع زركشة الفستان الأبيض .. ملامح وجهها تفيض حياء وبهـــاء .. تقف وسط أطفال يفترشون الأرض وكأنهم فراشات الألبوم ..
كان الصمت الدائر يلف قمم الجبال ويسدل علي البيوت وحشة وريبة ..
مـــزق الســـكون صـــوت طلقات نارية وانفجارات تنقلها الريح العاصفة..
اختفـــت أسراب الحمام لكن **بسمتها الخاصة** كانت أملا يطارد الطائرات المروحية **وغاراتها** التي حجبت شمس يوم حزين وطرقات أبواب خوت ، ونـــوم مـــتقطع مـــع رعشـــة أبرياء ، وأذان مصلوبة إلي مزاليج الأبواب الموصدة ..
تركـــزت نظراتها نحوي وهي تحكي مع أنين المأسورين عن خليل ومحمد والشهيد ماجد أبو شرار والشهيد باجس والشهيد ..
كانت عيناها تهمس ..
هكـــذا يعـــيش أبـــناء شـــعبنا وســـط هذا الرماد المشتعل ويقاومون ..ومع **الصدمة** انتابتني رغبة محمومة في رفع قبضتي في وجه الغدر المرتعش وراء أسلحة الدمار وغطرسة غرور القوة خلف سور الكراهية ..
وتجـــاوزت شـــهب وادي رام التي رسمتها أعواد الثقاب ، وضوء الشموع يخبو مع ألوان فراشات الذكري الزاهية ..
رسمت البسمة المقتضبة وحاولت إضفاء لون من البهجة ..
سألتها عن قصة الوشم الذي يحتضن كفها ، وعن صينية الفتة والهدية وقد دارت القلادة بين أناملنا وأشعتها تغمر المكان ..
وجاء الشعاع حاملا صياح الديك فأسرعت أشق طريقي وسط الجموع وأنا أتابع أكياسا محمولة بأنامل سواعد لا تكل .. تحمل الأمل ونبض الحياة
---------------------------------- بشري رسائل

مع شروق الشمس وتدندن ..
الحلوة دي قامت تعجن في البدرية ، والديك بيدن كوكوكو من الفجرية ..
يالا بنا علي باب اللـــه ..
ألقيـــت التحـــية علـــي عزيزة وهي جالسة القرفصاء وعين علي الجرجير والفول الأخضر ، وعين علي الأقدام العابرة نحو البوابات الحديدية ..
تمنيت لها الرزق الوفير الحلال ..
ودلفت من البوابة واحتضنت مفاتيح التشغيل لنول النسيج الشعبي ..
..القـــلادة لا تغيب عن ناظري يا بشري وقد سكنت القلب محتضنة الشهداء
..وكأنمـــا رســـمت نظراتـــي همســـاتي البارزة علي خيوط الغزل ، والتي تتعاشـــق بالطول والعرض ، وكلمات الرسائل تتواصل مع النسيج المولود ..تخيلي ..
عاد أخي لزراعة أرضنا الحبيبة وسنأكل الفراخ البلدي ..
خليل استلم رسالة من أمه ..
وصدقيني .. محمد عائد برسوماته الزيتية من البحر قريبا ..
واللـــه العظيم عمرو ابن عم كمال رئيس الوردية نجح ..
..لـــن تصدقي لقد عزمت الوردية بالكامل علي صينية فتة .. كانت رائحتها تتصـــاعد مـــع دوران المكـــن وضحكات الفول المدمس والأخضر والجبن القريش والخبز البلدي الساخن .. حاملة الأحلام البسيطة التي تتلقفها الأيدي الخشنة والخيوط الناعمة تنسج رداء الحرية ..
وتهتف قلوبنا ..لا .. لا عزاء .. لن تتوقف ماكينتي ..
كانـــت الضحكات الصافية تملأ المكان مع دوران الماكينات ، إنها سيمفونية بيتهوفن وموزارت ، فنسيج مصر كله في أجسام أدمية وعقول ذكية وقلوب محبة وأيادي وفية يا بشري ..
إنها تستطيع أن تملأ الحقيبة بالأسرار وتصنع التاريخ من جديد ..!
لا تنســـي ..عزيزة تدعوك لحضور حفل زفاف ابنتها وحبيبتك لبني بعد أن تبرعمت دوالي العنب ..
رفعت رأسي وابتسامة عزيزة تداعب قلمي ..!
القطة ولدت يا بشري .!



شجرة السعادة

أغلقت التلفاز فقد مللت حكاياته ، وساد الظلام والسكون إلا من مواء القطط كانت شاشة جهاز المستقبل (الريسيفر) مازالت مضيئة .. حدقت في الضوء الخافت .. ظهر وكأنه يخرج لسانه ..

_ لن تستطيع الهرب .

_ لا أفهم ..

أدرت رأسي وأرهفت أذني ..

وعاد الصوت أكثر وضوحا وخفت مواء القطط ..

_ ما هي حكايتك ..؟

_ من أنت .. وهل لي حكاية ..؟

_ كيف تعاملت مع القطة ..؟

_ أي قطة تقصد ..؟

_ تنسي الأمثال بسرعة ..!

_ أمثال وقطط وحكايات يا له من **مساء بارد** ..

_ لا تبتئس أقصد حكاية الجائزة الكبرى ..!

وضعت ساقا فوق الأخرى مع اتساع فتحة الصدر ..

.. إنها قصة طويلة ..

_ تقصد مسلسل عربي .. من **باب صغير** اشرح وباختصار ظهور حكاية شجرة السعادة ، أقصد حكاية جائزة الزوج الوفي طويل العمر .

قاطعته : إنها شيء مختلف ، مع العولمة لم يعـد للعـرب ومسلسلاتهم مكان .. صدقني هي سعادة من نوع خاص ..

وساد السكون وأنفاسي تعلو **كطرقات خفيفة** علي باب القلب.

تزوجت كما يتزوج الناس بعد لحظات الخطوبة الحالمة .. ومرت أيام العسل والبدايات المختلفة وكانت **البشري** فقد جاء محمد الأول وسعاد ، ومع **المنحنيات** اليومية أطلت المشاكل برأسها . ثم بدأت أيام الملل والدوران في **الساقية** . وطردت تلميحات بيت الأفيال من ذهني .
..ومع موجه الانفتاح التي طغت علي موجة الكفاية والعدل في بلدنا سألت من سبقوني بعد **الصدمة** . قالوا:
فلان تزوج بالثانية سرا ..
وعلان تزوج في البلدة الأخرى ..
والباقي تصرف كل واحد منهم حسب التسهيل .
استعذت باللـــــه فأنا أحترم الشرعية .لذلك قـــررت التخلص من زوجتي ــ والليـــل ستار ــ ببعض المؤامرات الصغيرة علي مراحـــل طبقا لخبرتي مع المسلسلات العربية حتى تترك المنزل .
وقبل أن أرسل لها مرة أخري المـــرأة التي تدعي أنها زوجتي ومعها الأولاد ،اكتشفت أن زوجتي تدبر لي بعضا من المقالب ..
يبـــدو أنها تريد الشقة التي أصبحت من حـــق الزوجة في القانون الجديد وحلقاته **المر مرية** .
وخوفا من اتساع خيالها السينمائي مع دعاوى العولمة ، ومع شيوع الخضة وعفاريتها والخصخصة وملوكها لوحت **بغصن الزيتـــــــون** ووافقتها علي الاشتراك في جمعية خيرية معفاة من الضرائب احتفاظا بالعلاقات الأسرية والأولاد و**البسمة الخاصة** ..
كانت سعادتي غامرة مع هذا المظهر الجديد ، كنت اقضي معظم الوقت في الغـــرفة التي خصصناها للجمعية ، وهكذا تواجـــدنا بنفس الشقة انتقاما لكل منا رغم تدحرج الصور . كانت أهمها صورة طائر البطريق وقد زادت درجة السواد لزيه الشهير مع صرخته التي يطلقها قبل الرحيل .
وسط السكون والضوء الخافت عاد الصوت يلح ..
..لا تنس برشام الضغط يا ..!

الشربيني يدحرج الصور

قراءة غريب عسقلاني

غزة – فلسطين

الشربيني المهندس كاتب مؤرق، يبحث عن وسائل للخروج من الأزمة، وهو المدرك لدرجة الذهول، كيف تأخذ العتمة العالم العربي الى قرار الهاوية في زمن العولمة.
والشربيني يدخل المواجهة بسلاح الوعي والفن بلغة شاعرة لبنية فنية بصرية ترصد التفاعلات فيما تتدحرج الصور، تقفز بين السطور على الورق، ما يأخذ القارئ الى الحيرة مرة والى الغموض مرة أخرى، فيذهب الى التاريخ يستدعيه على مائدة الحاضر لاستشراف العبر، أو يعود الى جذور الحكايات يتداولها من جديد، وعندما تتكاثر النوائب يذهب الى جلد الذات لدرجة الذبح والنزيف. فهل ما يقدمه كاتبنا تفكيكاً للواقع بهدف اعادة ترتيبه على صورة فسيفساء مقبولة لصورة الانسان العربي، بعد ان شوهتها عوامل الهدم وكشطت عن وجهها عناصر البهاء الايجابي.
في قصة باب صغير.. يبحث الجد بين الفضائيات عن الأخبار ضارباً عرض الحائط رغبة الحفيد في الفرجة على السوبر مان الذي يسكن التلفزيون فتظهر صور حلب الشهباء والخوف والهلع يصيب أهلها، والفوضى تضرب أطنابها فيها بعد أن حاصرها التتار، فيما القاضي يتأمل ويفكر ويعتصم بالحكمة الأثيرة (جبان يعيش خير من شجاع تحت التراب والأيام دول..) لذا لابد من الخروج من الحالة (التي جعلت عيده الغلبان يتجرأ ويطلب يد ابنته بالتفاوض مع الأعداء. وقبول فتح باب صغير يعبر منه بعض جنود التتار لاعتقال نائب السلطان وأعوانه الذين رفضوا الاستسلام. مقابل تعينه (القاضي) حاكماً شرعياً للمدينة.. تتدحرج الصور على الشاشة ويطول الحصار، ويفرض الأعداء شروطاً أخرى، مثل جمع السلاح من الخاصة لضمان عدم موالاتهم لنائب السلطان، وفرض جزية

تفوق قدرات الأهالي. ما جعل الباب الصغير كبيراً مفتوحاً على مصراعيه وما جعل التتار يعيثون فساداً ونهباً، ويصادرون مزارع المشمش لتحصيل الجزية. وفي الصور يهرب القاضي وقد نهب بيته وذبحت جاريته واغتصبت ابنته فيصحو الجد على مشاكسة حفيده الذي خطف الريموت كنترول لاستدعاء السوبرمان الذي لاشك سينتصر على التتار. لكن الشربيني لا ينتظر السوبر مان فيأخذنا الى اقاصيصه القصيرة جداً وعلى ايقاع سريع.. فنرى الطائرات تطرز جسد الطفل الذي قذف الحجر لكن الطفل وعلى جناح لغة أشبه بالشعر يطير نحو سرابه الأبيض يحلم بالسلام مع الحمام (قصة غارة).

ونشاهد الدبابة وهي تهرس الشاب الذي يصلي الفجر حاضراً فيختلط رعب الموت مع صوت المؤذن (قصة صلاة). فيما نرى ابراهام لنكولن كاسف البال يراقب أحفاده بقيادة بوش يعيثون فساداً في حواري العراق، يقدمون خدماتهم للصهيونية التي زينت لهم أن الصيد في العراق سهل، ويغيب عنهم أن من يطلب الحرية صيده مستحيل (قصة تمثال الحرية).

ونرى كيف يداهم ذوي الأردية البيضاء والزرقاء البيوت بحثاً عن مجنون فلا يعثرون عليه، فيعتقلون الشاعر الذي تسلق جدائل القصيدة ويسجلون نصراً فاشلاً (قصة اختفاء البدائل). الصور تتدحرج ما يجعل القارئ في حالة لهاث، ولأن المهندس يدير لعبته فإنه ينجح لاستثمار بعض الوقت مع الحكايات ربما تساعده في ترتيب الصور من جديد

وفي ثنائية خيال مآتة يتنفس.. يأتي الكاتب على سيرة الأسد الذي أكل الثور الأبيض ويستدعي ثوار العالم العربي من جميلة أبو حريد وعرابي ويوسف العظمة وعمر المختار وميشل عفلق وأبو القاسم الشابي الذين أكلوا يوم أكل الثور الأبيض.

ولأن الغول امتطى ظهر العنقاء سقط في برزخ بين الواقع والحلم ما جعل القائد العربي المغوار ينحاز الى مصالحة..

(بلدي اللي فيها مراتي) ..
ويعود الى مقولة سعد زغلول الشهيرة في زمن سكن الغول قلب المدينـــة المقدسة، وتمطي وتنطع فيما فارس بني خيبان يخرج من كامب ديفيد حاملاً غصن الزيتون ويحفظ رواية أخرى للتاريخ بعد ضياع زهرة المدائن، وينظر بعين حولاء الى أطفال الانتفاضة فيقع في غبش الرؤيا فالماء الأبيض مـــسح عينه اليمنى والماء الأزرق مسح اليسرى فاهتزت الحمامة خلف السواد .
وفي قصة همسات في ضوء شاحب.. يبحث البطل عن وظيفة، وعندما يحين موعد المقابلة لا يجد سيارة تقله الى المكان، فيركب هواجسه ويـــسير علـــى طريق المشاة، فتحاصره العتمة ويعتصم بالحلم.. يمر من أمامه فتـــى يقـــود سيارة فارهة يسابق شاحنة.. فيما الرجل غائص في تهويمات تأخذ القـــارئ من فضاء المشهد الخارجي الى أعماق الذات حيث لا شيء غير ضوء شاحب يشير الى أمل مقتول. يصرخ كالمدوغ. ..
لن يستغفلني الضوء الشاحب بعد الآن.
مؤكداً أن الأضواء الشاحبة تبتلع الانسان الذي تتمحور مطالبة حول همومه الذاتية. ولابد من حلول جماعية للأزمات بإيجاد البدائل. كما تشير قـــصة منحنيات الى الموظف محدود الدخل وهو يصارع تكاليف الحياة ودخولـــه في دائرة الفقر، ما يحث صديقه الغني الى مساعدته فيعيد النظر في مقولة الخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين، وكأني ياشربيني المهندس يحـــذر من اختلال الموازين التي تأخذ الانسان الى التيه فيقع ضحية أزلية للفقـــر وكأنه يعيد سيرة سيزيف من جديد.
وبعد: فالكاتب مهموم لوعية بمواطن الداء، يجتهد في البحث عن مخرج لذلك نراه يلتقط عذابات صديقته الكاتبة الفلسطينية بشرى أبو شـــرار مـــن خلال ما تقدمه في قصصها ورؤياتها، والتي تجعل الجرح علـــى نـــزف طازج وجد في المقاومة حلاً عملياً. يتبناه هو أيضاً ويطير الـــى بـــشرى المؤازرة في قصة بشرى رسائل ..

وعـــي شديد الإضـــــاءة

في تدحرج الصـــور وقصص الذات المهمومة بالآخـــر

رؤية أ. عبد الفتاح مرسي

.. في تدحرج الصور نري أن ذات الشربيني المهندس تطل علينا محملة بصور الآخـــر وهمومه ، لا تنوء تحت تلك الأثقال وتصر بأن تبـــدو — بابتسامتها الواهنة علي شفتيها — علي أنها قادرة علي العطاء والتفاعل مع القضايا ، والتي يري البعض بأنها باتت قديمة لا رجاء منها . فهو يـــري أن نعيد حساباتنا ، ونلتفت إلي قيمنا وتاريخنا .

* ومنذ الصفحات الأولي يخال لمن يقرأ المجموعة "تدحرج الـــصور " أن الكاتب قد إعتلي مرتفعا وراح يدحرج الصور في مشاهد قصصية . فكـــل موضوع قلبه علي عدة مشاهد ، تقليب العلماء في تفكيرهم العلمي حتي لا يتركوا شيئ لإحتمالات لم تكن في الحسبان . ونحن إذا ما تناولنـــا تلـــك المقاطع ، سريعا ما يمكن وضع كل مقطع في صندوقه لننتقل إلي الآخـــر في سهولة ويسر وبدون تكلف . وبدون أن يعطينا الإحساس بأنه يقدم لنـــا العديد من الألوان والآراء ، والقصص التي قد يكون مشاركا في نسيجها ، أو من نسيج الآخر الذي يقع في بؤرة اهتمامه .

** الكاتب تغلب عليه النظرة الثقافية التي تقارن وتستطيع فرز العلاقات المتغيرة . وبدون تثاقف ، نقبل منه كافة الآراء عندما تأتي مغلفـــة بـــذلك القص المدهش الذي ينم عن عمق انساني ، وحس ســـاخر ، وميـــل إلـــي تخفيف المشهد الأسود ، ليكون سلخة من ضوء مـــضبب ، نقـــدر علـــي احتماله ، ونحن في حالتنا المتردية ، أمام ظروفنا وأحوالنا التي تمزقت ، وتشظت بصورة مزرية ، فآثر أن يمزق مواضيعه علي نفـــس النـــسق ، ليمكن أن يتناوله القارئ في شئ من اليسر ، دون أن يشعر بأنه (يأكـــل) نفسه . وقد لاحظت أن نظرة الكاتب — كما عودنا دائما — تقـــوم علـــي الفحص والاستبيان . إذ نراه يتغلغل إلي أدق العلاقات التـــي تـــربط بـــين

الأشياء ، ويلمس فيها التوتر والتناقض ، ورغم وجـود روابـط نـشطة يمكن استقلالها بنفسها ، فهو يرغمها علي علي أن تسير طبقا للنهج الـذي اختاره وارتاح اليه ، مع أن الناقد الفاحص يمكن أن يجعل من مجمـوعة القصص التي قدمها الشـربيني المهندس في مجموعة "تدحرج الـصور " رواية حديثة ، ذات زوايا تمثل "تجمة " رؤوسها بقدر مواضعها الاساسية

* ويبدو منذ ولوجنا من " الباب الصغير " ص٧ أننا سنجد الجد الكبير في صراع محبب إلي نفسه مع حفيده . ومن خلال حياة الجد العادية في عالم يتطور سريعا بالأجهزة ، نراه يتقبل ذلك بنفس الهدوء الذي اعتاد عليـه ، ويعمل علي أن يقوم بحالات الاسترجاع الداخلية ، ليرصد الأحداث ومـا طرأ عليها ، أو يذهب إلي ما قبل التاريخ الحديث مرورا — أثناء العـودة علي الفاعليات التي أسست قوتهم واضعفت قوتنا ، ولينتقل الأثر إلي كتب المطالعة والتمثيليات والأفلام التي زحمت ذهنه

" الباب الصغير " قصة مدهشة تلائم عصر الكـوارث والمعـارك والـدم العربي الإسلامي المسفوح يوميا بآلاتهم ومجنـزراتهم ، بينمـا العـرب والمسلمون لا يزالون يعيشون في حماية الترس والسيف والقنا . العربـي المسلم فارس شجاع علي حصان يحمحم ، ولكنه يواجه دبابة وطيارة

* وينتقل بنا المؤلف — نتقلات الإزاحة — في نزوح الانسان عن موطنـه — ومواطنته — وهجرانه من زمانه إلي الماضي كالمرضي النفسيين ، من خلال الأوهام التي يحاول أن يتغلب بها علي الواقع الأليم وكان من الأجدر به أن يؤمن بالعلوم التي جعلتهم الأقوي .. هنا يمنح الكاتب نفسه حـرية الحركة والتصوير في أن يصنع عالماخاصا به . والمتأمل لجوانبه يجد أن هذا العالم يخصنا جميعا . ويذهب بنا في "طرقات خفيفة " إلي خارج البلاد "أمريكا" ويعود بنا في " بسمة خاصة "إلي انفعالات المغترب الذي لم يتواءم مما يجعل القصة — كما أسلفنا القول — متقطعة من نفس النسيج . وفـي قصة نخلة الذكريات يدحرج عدد من الصور تذكرنا بما حدث في الماضي

القريب علي مياه الخليج ،والمصير الذي آلت اليه "أم المعارك " التي تغلق الحوانيت ،وذلك لصمود الزائف الذي يترنح أمام أنغام الدفوف ص١٦
وحتي إذا ما قفزنا عدة قصص أخري سنجد أن النسيج واحد مـــن نفـس الغزل . فعلي ضفاف نهر دجلة تتقافز الأسماك وثمة من يلقي بسنارته ذات الشاشات الرقمية في غارة مفاجئة ، وقد داخله شعور بأن السمك بات أكثر اختلافا عما كان يعرفه .. وجعل توني يقول : يجب تغيير الطعم
ويرد عليه جورج .. إنه الطعم الذي أوصي به ديفيد ..!!
* قصص تدحرج الصور يصعب تلخيصها لأنها خضعت لتلخيصات سابقة ولكننا نري الشربيني المهندس مشغول بالهم العام مع أنه يتعمد بأن يبـدأ بالخصوصيات ، انها الجزيئات التي تظهر من جبال الجليد العائمـة فـي المحيطات . ومع انه يقر بأن الهزيمة كانت بسبب تقدمهم التكنولـوجي ، فهو لا يعترف بأ،تخلفنا مزمن . وأن "إصلاح الحال " لن يتأتي الا بالنظر الدقيق إلي ما آلت إليه عوائدنا .. التراث الذي نملكه بات يؤلمنا ويرهقنـا منذ دحرج صوره مرورا بالصدمة واختفاء الجدائل ، غـارة ، صـلاة ، غريق . وتلك عناوين عدد من الصور إلي حدود الليل الستار ، إنها بالفعل حلقات مرمرية ..!!
ويبدو أن المؤلف يخشي التصدع النفسي أكثر من التصدعات السياسية ، وذلك يجعلني أميل الي تصنيف كتابات الشربيني (حتي نعفيه من الأحكام القاسية للقصة والرواية) إلي اعتبار كل قراءة للنص الذي يقدمه بمثابـة تفسير جديد يطابق الأحوال ــ المتغيرة دوما ــ أو يتناقض معهـا . إذ أن أعمال الشربيني مرهقة لأصحاب الأذهان المسطحة (والتي عملت سياسـة ما علي تسطيحها بإنفاق هائل) والأمر يتطلب استعداد خاص لتلقيها .
ويكفي الشربيني ذلك التفرد حتي يعثر علي الشخصيات التي تحمل سمات عالمه ، ويمكنها التحرك بحرية بين المشاهد والفصول دون تدخل ، فتكتب القصة نفسها بعيـد عن ذلك الوعي شديد الإضاءة .

الدلالات البلاغية في تدحرج الصــور

رؤية محمد عطية

ثمة مبدأ بلاغي تتجه اليه فنية الكتابة فـــي مجموعـــة تـــدحرج الـــصور للشربيني المهندس في محاولة منه لكسر النمطي والمعتاد في بنية ســـرده القصصي ، فقد تغني (الاشارة عن العبارة) مما يضفي للتكثيف والاختزال بعدا رمزيا يصاحب رؤية الكاتب والتي سارت كما (سارت قـــدماه فـــي طريقه الذي رسمته شوارب الرجل الباسم الباسط كفه ورافع ثوبــه) بمـــا تحمله هذه الجملة من معن للسطوة والقوة الي جانب الوصـــف الخـــارجي للرجل وسلوكه الممهد لفعل الاغتصاب في قصة (الرجل والكلب) والتـــي كان فيها الكلب معادلا موضوعيا يصلح لكل من الرجل والرجل الآخـــر ، ولتقع الشخصية المستلبة تحت وطأة (ما يأسره ويدفعه كورقة في مهـــب الريح) بعد أن نزف كما تنزف الشمس وهي تعلن الرحيل في اســـتهلال القصة .. وهل يوقف النزف أن تبكي المرأة /الكرامة ، والمغتصبة وقـــد أغرق نحيبها المكان) فلا مجال هنا الا ليسود السكون ، وأي سكون .

يطرح النص مع دلالاته اللغوية ومعطياته الرمزية التي يسقطها علي واقع مترد للاستسلام والانهزامية والانسحاق وينجح الي حد بعيد فـــي معادلـــة الطرفين .. وقد جاء النص بعد سلسلة النصوص التي تؤدي رؤاها /أحداثها الي هذا الفعل / الرؤية بمقتضي حال رسمته في حلقات مرمريـــة والليـــل ستار. ولم تخل من البعد الدلالي الممتزج باسقاطات رمزية ، كما تشابكت فيها بعض النصوص من خلال بعض جمل المتن القصصي وتلتحم بسياقه لتعبر بطريقة أو بأخري عن تنسق النصوص المطروحة ، والتي تستدعي بعضها هذه الصيغة التراتيبية لبلورة الرؤية السردية المتكاملة .

أخلص إلي أن الدلالات البلاغية لعبت دورا مـــؤثرا فـــي بنيـــة وتـــشكيل المجموعة والتي يضع بها الشربيني المهندس ملمحا جديـــدا مـــن ملامـــح ابداعه القصصي الساعي الي نوع من التجريب الجاد

تدحرج الصور
وهالات التشكيل في السرد القصصي

للناقد يسري طمان

يتسع السرد لجميع صيغ الحكي مع مزجه بالخيال واستدعاء التراث أيضا .. وهكذا يمكن اتاحة الفرصة ليتميز العالم الفني للشربيني المهندس بجماليات خاصة تتباين درجاتها لتكون ما يشبه الهالة حول النص ، إقترابا وسطوعا وضبابية كذلك مع درجات الرمزية المستخدمة .. ويعتمد ذلك علي اساليب مختلفه منه تيار الوعي الذي تتداعي له الذات في مونولوجها مع فسيفسات سردية للوصول إلي المحتوي الحي والمعني المراد للجميع، وذلك فيما يسمي القصة الصورة ، أو قصة الحالة التشكيلية ، وحيث ينحصر هم الكاتب في تصوير لقطة حياتية ،أو نفسية برؤية خاصة تاركا مساحة دورانية للتأويل مابين القدرة الفنية للتعبير عن الأزمة والخلاص بالكتابة ..
وتلعب الضمائر دورها بجانب لغة تبدو منحوته من حلقات الشعور المتدفق وتهدف إلي الإيحاء مع بدايات تنويرية نرصدها وهي منكمشة حول نفسها في قصة بسمة خاصة أووهو جالس وحيد فوق تلال الألم وقد قرصه الجوع في قصة نخلة الذكريات .. وتتناغم الاستهلالات والخواتيم وتشعر بها سواء ترددت نظرات صابر بين صفحات السماء والطريق أو وهو يدون أشعاره علي ضوء القمر المسترسل بلا مقاومة في قصة اختفاء الجدائل .. هكذا نري الكاتب وهو يتعرض ويعرض لأنماط سلوكية وحالات نفسية منتفضة في وجود راكد الملامح ، وتلمس الحالة وهو يطل من فتحة باب صغيرة في قصة الليل ستار ،أو وهو يداعب شاربه علي مهل في قصة الرجل والكلب .. ويصاحب ذلك هذا الزمن النفسي المشحون بدلالات تطغي باشاراتها مع سمات تشكيلية وجمل قصيرة متلاحقة لتحدث نوعا من الجدل بين الكاتب ومنظومته وبين انعاسكات المتلقي الواعي ببساطة تتناسب مع القراءة للمرة الثانية حيث ينبش الكاتب الماضي ويرصد الحاضربطرقات خفيفة .

صـــدر من مطبوعات الاثنين

١ـ أنين المأسورين ....قصص ... بشري أبو شرار
٢ـ الدخول إلي الكابوس ..رواية ..الشربيني المهندس
٣ـ عبداللـــه يقرأ طول الليل ..رواية ..محمد خيري
٤ـ القـــــلادة ....قصص ..بشري أبو شرار
٥ـ علي حافة الحلم ....قصص .... محمد عطية
٦ـ بركان جبل الجليد ...قصص ....مني سالم
٧ـ جبل النــــار ...قصص ..بشري أبو شرار
٨ ـ ضجيج الصمت ...قصص .....آمال الشاذلي
٩ـ أبجدية الـــدم ..قصص ..تهاني عمرو مرسي
١٠ـ إلا الليـــــل ..قصـــص ....فـؤاد الحلـو
١٣ـ أعـــواد ثقـــاب ....رواية ....بشري أبو شرار
١٤ـ احترام القاموس ....قصص ... محمد خيري
١٥ـ وخـــز الأمـــاني ..قصـــص ..محمد عطية
١٦ـ اقتــــــلاع ....قصص .. بشري أبو شرار
١٧ـ وريقات تجريبية سكندرية ..
دراسة أدبية ..الشربيني المهندس
١٨ـ شهب من وادي رام ..رواية ..بشري أبو شرار
١٩ـ العائلة .. قصص ..أبو نصير عثمان
٢٠ ـ جداول دماء .. قصص .. سناء أبو شرار
٢١ ـ علي شط الغريب ..قصص .. مني سالم

تحت الطبع

١ـ مسحوق الجسد ..... رواية ...... أحمد السعيد
٢ـ احترم القاموس .. قصص .. محمد خيري حلمي
٣ـ عـــين شمس .... رواية .... محمد خيري
٤ـ الشمس العمياء .... رواية ..أحمد السعيد
٥ـ فراشة الطين ..قصص ..عبد العاطي فليفل

المحتـــويات

بيوجرافيا الكاتب

* محمد شربيني محمد
- (الشربينى المهندس) / مصر

خريج كلية الهندسة / جامعة الإسكندرية حصل علي درجة الماجستير من نفس الجامعة
يعمل رئيسا لقطاع الصيانة بالشركة العربية وبولفــارا للغزل والنسيج والحـــرايـر
الإسكندرية..السيوف ..ص.ب ٢١٥٣٣
البريد الإلكتروني elsherbiny22003@yahoo.com

* عضو اتحاد كتاب مصر
عضو نادى القصة بالقاهرة
عضو مركز الإبداع
عضو العــديد من الجماعات الأدبية وقصور الثقافة .

*** صدر للكاتب**

وأبتسم سعد زغلول مجموعة قصصية
المعاني المتراقصة مجموعة قصصية
بيوت من زجــاج مجموعة قصصية
دوائر النوايا الرمادية مجموعة قصصية
قصة بين منظور النقد والإبداع دراســـــة
الدخول إلى الكابوس رواية
وريقات أدبية سكندرية دراسة أدبية

الصيانة في مصانع الغزل (عربي) إصدارات صندوق الدعم
الصيانة في مصانع الغزل (إنجليزي) إصدارات صندوق الدعم

اجازة طويلة للأفكار

قراءة فى مجموعة تدحرج الصور للشربينى المهندس

الفكر هو اعمال العقل ، والنظر فى الأمور بروية ، ومن يغص فى قصص مجموعة ((تدحرج الصور)) للشربينى المهندس ، التى يعرى فيها الواقع العربى المتردى على كافة المستويات يلحظ أن سبب تردى الأوضاع هو اصرارنا على منح أفكارنا اجازة طويلة ، ورفضنا كل محاولات الايقاظ الداعية الى التمسك بأفكارنا ، قيمنا ، رجولتنا ، أصالتنا ، وجودنا أمام الدولار ، والامبريالية العالمية والامبريالية الداخلية ، والفقر ، وسلطة التسلط ، والقوة ، والضعف .

ففى قصة ((الرجل والكلب)) يصر البطل المبهم على اعطاء أفكاره اجازة طويلة ويستسلم للون الدولار فى يد الرجل ذى السنة الزهبية الذى رسم له طريقه ، وحدد المطلوب منه عندما رفع طرف ثوبه ، فصار كلبا ، بل أقل من كلب ، فللكلب قدرة على النباح تشعر الآخر بوجوده . الوجود الذى فقده بغبائه ، باستسلامه ، بضعفه ، بتنازله عن حقه فى التفكير .

وفى قصة ((حكاية الثيران البيض)) من " ثنائية خيال مآتة يتنفس " يعطى الأبناء القوة الفاعلة اجازة لانهائية لأفكارهم ، ويستسلمون للآخر الذى ملأ رؤوسهم بحياة الملوك ، ويرفضون الدين / القيمة ، والعمل / الوجود ، ويردون على الحكيم الذى يسألهم : ((والصلاة والعمل يا أبنائى ... بكرة يحلها الحلال ، فاليوم خمر وغدا أمر)) ص ٥٢ ، بعد أن مسخت عقولهم و ((كفروا بالشرعية وعاشوا هوس الاذلال)) ص٥٢

وفى قصة ((غصن الزيتون)) من نفس الثنائية نرى نفس الاجازة ، فرغم تحقيق النصر فى يوم الغفران الرمضانى ، يرفع فارس بنى خيبان غصن الزيتون دون اهتمام بدماء كانت ما تزال ساخنة ، ولا بثكالى طامعين فى نصر آخر يتأثرون به لقتلاهم .

وفى قصة ((مساء بارد)) تعطى الزوجة اجازة لأفكارها ، وتجادل الزوج الذى رأى العشيق فى حجرتها قائلة ((من فضلك لا تغير الموضوع)) ص ٣٤

واجازة الأفكار هذه لم يكتشفها الشربينى المهندس فى أبطاله فقط ، لكن اكتشفها فى متلقى أفكاره ، فنحن من ترك ((نخلة الذكريات)) وحيدا مع ((أشباح هاروت وماروت ، وأم المعارك وعاصفة الصحراء)) ص ١٦ يتجرع أحزانه فوق تلال الألم .

وهى سبب تركنا لأم الشهيد فى ((بسمة خاصة)) التى استباح الأعداء أرضها ، وأرض أبنائها وأجدادها شرقا وغربا ، وأجبروها على الرحيل بعد أن ((أعياها البحث عن قطرات تروى جفاف سنين العمر)) ص ١٤ ، و أدار لها التاريخ ظهره رافضا أن تغيب فى أحضان ذكرياته ، رافضا صراخها ((وامعتصماه ، وا اسلاماه ، ويعرباه)) ص١٤

وهى سبب ضياع الطفل فى ((غارة)) ، والشهيد فى ((صلاة)) وهى سبب حال الموظف فى ((لحظة عابرة)) وضياع الشاب فى ((همسات فى ضوء شاحب)) ، والرجل فى ((الليل ستار)) ، " وحلقات مرمرية " والأديب فى " نظرات خادعة " والأمة كلها فى " غريق "

وهى ما جعلت الشاعر / الأمل ضحية فى " اختفاء الجدائل " فعندما فشل الضابط ورجاله فى الايقاع بالمجنون المطلوب ، قرر البحث عن بديل . ((هل سنعود من غيره يا رجال ... هذا المنزل سبق أن فتشناه يا سيدى ولم نجد سوى صاحبه ، حسنا ولم لا ؟ .... هذه فرصتنا الأخيرة)) ص ٢٣

وهى سبب ما وصل اليه حال ((أمين)) فى منحنيات ، وتغير المفاهيم ، حتى مفهوم الضمير والاخلاص ،والاستقامة

- يا أبى يا عم أبو أمين لدنيا اتغيرت
- لا يا بنى .... لا فالضمير ...
- مقاطعا ودا كمان غيروا يا سيدى اسمه من زمان .
- والاخلاص فى العمل .
- هناك اجتهادات كثيرة فى تفسيره بالتأكيد ص ٣٩، ٤٠ .

رقم الإيداع ٩٤٥١ / ٢٠٠٤